المشرق

الحماسة الدستوريّة

نظر انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

غنيٌّ عن البيان انَّ اجود الشعر ما اختبرت بهِ مشاعر قائلهِ. لانَّ الكلام اذا ما تأثرت منهُ النفس وانطبع في اعماق القلب تكاد الطبيعة تقذف بهِ عفوًا دون تصنُّع ولا تمثُّل البتَّة. وان سبكتهُ وعرضتهُ على محكّ الانتقاد وجدتهُ مصوغًا بابلغ المعاني مفرغًا في اجود قالب من اللفظ والتعبير

على انهُ بين ضروب المنظومات ليس ما يفضل في ذلك الشعر الحماسي لانهُ يعبّر عن اشرف ما في قلب الانسان من العواطف ويترجم عمّا يكنهُ صدرهُ من الخواطر السنيَّة والهمم السامية التي تتكبَّهُ عن الدنايا وتسمو بهِ الى المعالي فيذكر ما لاسلافهِ من المفاخر ويترقى الى معارضتهم بالمآثر ويناصب كل ما يحول دونهُ من العوائق في ادراك غايتهِ الجليلة حتى انهُ يضحّي في سبيلها كل نفس ونفيس

وان تصفَّحتَ تواريخ الامم الغابرة ووقفت على آدابهم وجدتهم في الحماسيَّات اشعر منهم في سواها من فنون الشعر وهم يقدّمون تلك المنظومات الحماسيَّة على غيرها ويكرّرونها في مفاوضاتهم ويتغنَّون بها في اناشيدهم ويلقّنونها صغارهم حتى تصبح كقسم من حياتهم الاجتماعيَّة وعمرانهم. فهذه الالياذة لهوميروس بين اليونان ونشيد إنياذه لورجيليوس بين الرومان وشاهنامه للفردوسي بين الفرس فانها كلّها منظومات حماسيَّة تذكّر كل قوم بمفاخره وتبعث في قلوب ذويهِ شواعر الحميَّة والتحمُّس

ولم يخرج العرب عن هذا الحكم وان كانت منظوماتهم الحماسيَّة قصيرةً لا

تتجاوز ابيات القصائد . وقد عُني بعض الائمّة بتأليف تلك الآثار او نُخب منها اودعوها في مجاميع عُرفت بالحماسات كحماسة تمّام التي استفاضت شهرتها وحماسة البحتري التي نحن اليوم ساعون بنشرها وحماسة البصريين وحماسة الخالديين وغير ذلك ممّا يشهد للعرب القدماء بالنخوة والاباء

ولمّا أُعلن في اواسط الصيف المنصرم بالحكومة الدستوريّة وفُكّت الاغلال التي كانت تنوء تحتها نفوس العثمانيين باستبداد السلطة الحاكمة سابقًا نشطت الارواح وانطلقت الالسن وجادت قرائح الشعراء بآثارها الطيّبة وقد نُظم من ذلك الوقت الى الآن من القصائد ما لو جُمع لأربى على كل المجاميع الحماسيّة السابقة . ولمّا كان لهذه الاقوال شأن عظيم في تاريخ الآداب العصريّة رأينا ان نُعمل فيها النظر اجمالًا ونستوقف ابصار الادباء لئلّا يندثر ذكرها وتطمس معالمها

وكان اوّل ما شعر به العثمانيون يوم الاعلان بالدستور الجذَل والاغتباط فسُرّي عنهم همّهم وثلج بالبشرى صدرهم واسترسل قلم الشعراء بوصف فرحهم. فقال الشاعر الوطنيّ جناب الامير شكيب ارسلان في مطلع قصيدة غرّاء :

ألا يا بني عثمانَ حسبكمُ بُشرى لقد جاد ربُّ العرش بالنعمة الكبرى
وقد فزتمُ ذا اليوم بالغاية التي عليها رجالٌ قد قضوا دونكم قهرا
اطالت عليكم بغتةً مُرَّد المُنى تُحقّق بعث الله مع عسرهِ اليُسرى
اتت وحجابُ اليأس قد حال دونها كما ينشر الديّانُ من سكن القبرا
فمن غير وعدٍ بدّل اللهُ حالكم لتضحي لكم رحمى وتغدو لكم ذكرى
ويعلَمَ انّ الله لا ربَّ غيرهُ وليس سواهُ يملك النفع والضرّا
اراد تلافي الشرق من عثراتهِ فألقى عليهِ من عنايتهِ سترا

وانشد اخوهُ الاديب احمد عادل ارسلان معارضاً حالة البلاد بالبعث والنشور

هذه الحياةُ فاين العُدم والعَدَمُ وذا الضياء فاين الظُلْم والظُّلَمُ
لقد جلاها عن الاسلام ذو شُطَب ويفعلُ السيفُ ما لا يفعلُ القلمُ
يا بنيةً لم تزل في العمر نطلبها لا اليأسُ يقعدنا عنها ولا السَّأَمُ
قد بشَّرتنا بها الانباء نائلةً أمرَ الخليفة نِعم الآمرُ الحَكَمُ
احيا بها امّةً كادت عزائمها الى حضيضٍ من الإعياء تنهدمُ

واجاد في وصف تقلّب الاحوال جناب الاديب يوسف حيدر :

مضى عصرٌ وذا عصرٌ جديدُ بهِ صرنا نفيد ونستفيدُ

وقد ولّى زمانُ البؤس عنّا واقبل نحونا زمن سعيدُ
بدأنا وانحططنا ثم عُدنا تبارك ربّنا المبدي المعيدُ
كذاك الله يفعل في البرايا فيخفض ثم يرفع مَن يُريدُ
لحقّاً ان ذا عصرٌ حميدٌ وحقّاً انَّ هـذا اليوم عيدُ

وكما تباشروا بالنجاة وهنأ بعضهم بعضاً بنيل الاماني كذلك صرفوا نظرهم الى الجيش العثماني وضبّاطهِ البسلاء الذين بفضلهم حصل هذا الانقلاب العظيم فشكروهم واطرأوا حزمهم ودعوا لهم بالفوز والنصر . فقال جناب الشاعر المطبوع محيي الدين افندي الخياط :

بني الشرق هل إلّا الحدادُ القواضبُ بنوكم وهل الّا الجيادُ الشوازبُ
بنيتم فأعليتم وشدتم فسُدتمُ ألا هكذا تُبنى العُلى والمراتبُ
سلوا صُحف الأنباء هل غير ما روت عن الجيش اروى الشرقَ والشرقُ ناضبُ
سرت نبأةٌ من جانب الجيش قد دوت مشارقُنا اهتزّت لها والمغاربُ
مضت حقبةٌ يا شرقُ والقوم تُرّعٌ الى الجانب الغربيِّ والكلُّ راقبُ
فرُحماك يا شرقيُّ لا تنلُ وانتبذ فقد فُزت بالدستور والدهر شاغبُ
ووالله ما نـدري أأحلامُ نائمٍ ألمّت بنا ام انتَ يا دهرُ لاعبُ

وقال الكاتب الاديب نجيب افندي محوّر يحيّي الجنود البسلاء :

حيّاكمُ المولى واسعد دولةً وحمى هلالاً في سماها يسطعُ
يا قادة الافكار والارواح في ظلم يحطُّ وفي حسام يقطعُ
علّمتـونا كيف تحيا امّةٌ كادت تموت وصوتها لا يسمعُ
علّمتـونا الاتّحاد ولم نكن نرضى به بل في سواهُ نطمعُ
وأريتـونا انَّ فيكمُ مجدنا والى حماكم في الشدائد نفزعُ
يا جُند عثمانَ السلامُ عليكمُ فلقد دوت بكمُ الجهاتُ الاربعُ

وقال الشاعر المجيـد شبلي بك ملّاط يطنب في مديحهم ويخصُّ منهم زعماءهم وانصار تركيا الفتاة من ابيات :

ومشت جنودُ الترك فاهتزّت لها م الدنيا وضجَّ المسلمون وكبّروا
وتعاهدوا ان ينقذوا الوطن الذي بالجور منهُ الجوُّ اشمثُّ اغبرُ
فتقـدّموا والله ناصرهم وقـد فازوا وكان الناُر ان يتأخّروا
فتحيَّ تركيّاً الفتـاةُ وردّدوا عاش ابنُ تركيّا وعاش العسكرُ

حملت الى الترك الحياة وانهم لولا الفتاة وقومها لم ينشروا
خرجوا من الاكفان وانتفضوا كما ينتفض العبد الذي يتحرر

وقال جناب الشاعر المفلق عبد الله افندي البستاني في الموضوع:

يا رعى الله مجد كل همام شاد بالسيف المجد للعسكرية
هل يوازي الآساد غير نيازي من حمى حوزة العلى بالحمية
لا يباريه في الصرامة الّا صادق البأس انور الالمعية
بنيا للاحرار في كل قطر شرفًا لا يزول بالمشرفية
جاريا البرق في الوميض ورا مثل سهمين انفذا في الرمية
لم يقيما على التضاضة لكن ربطا الجأش بالقلوب الجرية
واستمانا متبسلين وشدا كالدواهي بالنخوة الجاهلية
فاستحر الجنود طرًا وقالوا حرّ نموزَ هائج الحرية . . .
ايُّ مجدٍ يُعلي بنيه كمجدٍ كاد يقضي بابنيه عنا ضحية
آيها الامنو الحفيظة انتم بظبى المرهفات شكر البرية
لا تزالون بالصوارم سورا يدفع الهول عن بني سورية

واكثر الشعراء في قصائدهم يعودون بالنظر الى الاحوال السابقة ويعددون ما ألمّ بالاوطان من النكبات وما دهم اهاليها من الشدائد لاستبداد العمال وترفع ذوي الامر فيعارضون بتلك الاحوال السيئة ما اصابوه اليوم بتغير الامور عاقدين الرجاء بانتظام الاحكام . فممّن احسن في هذا الباب جناب الدكتور نقولا فياض حيث قال:

يا بني عثمان انتم امةٌ اصبحت موضوع اعجاب الامم
سيدُ الدول تاريخًا لكم طُبع المجد به منذ القدم
في حمى جيشٍ عزيزٍ باسلٍ وابي الهمة كشافِ الغمم
ضرب الظلم بسيفٍ قاطعٍ شقّ منه النورُ اكباد الظلم

*

صيحَ بالترك فكانت صيحةً أيقظت من ضجعة الموتِ الحمم
وسرى للعرش منها هزةٌ قذفت يلدز من ذاك الصمم
فرأى الشرق انقلابًا مدهشًا لو تمنيناه في الاحلام لم . . .
ورأينا دولة الماضي وقد كتب الموتُ عليها لا رحم

وقال الشاعر المجيد نقولا افندي رزق الله:

يا ايّها الناس حيّوا ذلك العَلَما وسبّحوا مانح الحرّيّة الأمما
وقبّلوا البندقيّاتِ التي فضلتْ اقلامَنا بعد ما كانت لها خدما
وظاهروا عصبة الاحرار انّهمُ اتوا بما اعجز الابطال والهمما
هيّا افتحوا يا بني عثمان اعينكم تدفّق النورُ حتّى بدّد الظُلَما
تزيّنوا بجديد من ثيابكمُ او فاخلعوا ذلك الثوب الذي قدما . .
وادعوا لمن بعث الدستور من جدث بكت عليهِ عيون العالمين دما
فقد حرمناهُ ظلماً وانقضى زمنٌ عليهِ حتّى حسبناهُ غدا عدما
واليوم جرّد سيفَ الحقّ صاحبهُ وهاجم الظلمَ حتّى فرَّ منهزما
تعانق الشيخُ والقسيسُ واصطحبا من بعد ما افترقا ضدَّين واختصما
تعانقا في حمى الدستور واتّحدا ورفرفت راية التوحيد فوقهما...

ومثلهما اجاد الاديب طانيوس افندي عبده في مخمّسهِ حيث قال:

ذلك اليوم يوم نلنا الفخارا وشمخنا بأنفنا استكبارا
يوم بات الظلام فينا نهارا يوم كنّا نرى الجميع سكارى
لا بخمرٍ بل من حميّا الحميّة

قد رأينا الاتراك اهل الحماسهْ أدهشوا الارض بالدّها والسياسهْ
واستمالوا الى مقام الرئاسهْ فقضوا مأرباً اطالوا التماسهْ
دون ان يسفكوا دماءً زكيّة

ورأينا بيروت ترقصُ تيها وبنوها يعانقون بنيها
بعد ان كانت التحيّاتِ فيها بالمُدَى اصبحت كأنَّ ذويها
اخوةٌ بالسلام والمدنيّه

ورأينا القلوب قبل الايادي ترعت للسلام والاتّحادِ
فغدا الآن كلّ حرّ ينادي يا قومي نفسي فداءُ بلادي
فلنكن واحداً جموع الرعيّة

يا بني قومنا اذا ما ظفرتمْ فبذاك الجيش المظفّر فزتمْ
وبفضل الاحرار ما قد سلمتمْ فاذكروا الفضل واعجبوا ما حييتمْ
بجلال الحميّةِ التركيّة

ومن الشعراء من ذكر اعمال الاستبداد التي تركت في النفوس اسوأ عاقبة فرثى بعضهم الاحرارَ الذين ذهبوا ضحيّة مروءتهم وظلم الحكّام ففقدوا بدمائهم ارواح اخلافهم. قال صاحب العزّة سعيد بك شقير :

احرارُ تركيّةٍ اخضتمُ وطناً بكم سيبلغُ شأواً دونهُ السحبُ

فكم صبرتم على ضيم ألمّ بكم   وما ثنى عزمكم ضيمٌ ولا وصبُ
وكم سعيتم وكان الموتُ يحصدكم   فما رجعتم وما خارت لكم رُكَبُ
ما مات من بطلٍ الّا انبرى بطلٌ   للعيش محتقرٌ في الموت مرتغبُ
في الدردنيل وفي البوسفور أعظُمكم   منها بقايا عليها المجدُ مكتتبُ
علّمتم الشرق والاقطار قاطبةً   انّ العظيم لديهِ تصغرُ النُّوَبُ
ولا تنالُ المُنى والمرءُ مُقتعِدٌ   في بيتهِ جزعًا انّ المُنى تعبُ
ماتُوا فعشنا واحيوا بعدهم وطنًا   فكلُّ ما نحنُ فيهِ بعضُ ما وهبوا
ولم تَمُتْ روحهم بل دبَّ ثائرُها   في من أتى بعدهم كالنار تلتهبُ

وكذا استدرّ العبرات على ضريح الموتى في سبيل الدستور جناب اسعد افندي ماجم:

اذكروهم في كلّ صقعٍ ونادٍ   انهم حرّروا رقابَ العبادِ
بعد ما جاهدوا وايَّ جهادٍ   اذكروا كلّ خادمٍ للبلادِ
من ثرى غانمٍ الى البستاني

رفرفي فوقهم ايا روح مِدْحَتْ   انتِ مَنْ في هذا السبيل تضحَّتْ
عن عناها لولا الرَّدى ما تنحَّتْ   تلك احلامُها وها اليومَ صحَّت
بعد عشرين حجّةً وثماني

يا شهيدًا لم يَجنِ غير الوفاء   وطبيبًا ارداهُ وصفُ الدواء
لمريضٍ ما رام نيلَ الشفاء   حولك الآنَ عسكرُ الشهداء
ولارواحكم تليقُ التهاني

واذكروا ذلك الامير العظيما   اي صباح الدين الشريفَ الحكيما
انهُ غادر الغنى والنعيما   حيثما كان سيّدًا محدوما
وتلاشى في خدمة الاوطان

ومنهم من عدّد مساوئ الجواسيس وقبّح اعمالهم الاثيمة. قال جناب عبد الله افندي البستاني:

بؤسًا لايامٍ علينا سوّدت   دُهمَ الليالي والنفوسُ جوارِ
ايامَ ابناء المهانة عُزّزوا   وبنو المهانة خيّسوا بصغارِ
فعدا العيونُ على الضمائرِ غرّةً   عَدْوَ الجرادِ بجلّةِ المضمارِ
واستأنسوا في ظلّ اذيال الدجى   فاستوحشوا بمطالعِ الاقمارِ
واسترزقوا لذّاتهم بأذاتهم   وتنعّموا بتصرّمِ الاعمارِ
يتجسّسون من النفائس طرفةً   كانت لأنفاس النسيمِ تباري

وكم تواروا ان يمسّوا بالأذى   كلَّ امرئٍ بنُهاهُ زَنْدٌ وارِ
يتجرَّمون على البرئ جنايةً   مع انَّهُ ممَّا جنوهُ عارِ
فكأنَّ من اخلاقهم صلد الصفا   ونفوسهم فُطرت من الدينارِ

وغيرهم رشقوا بألسنة حداد جنايات المرتشين من العُمَّال · فمن ذلك قول الشاعر الفكه اسعد افندي رستم يصف دخولهُ بيروت بعد عودتهِ من اميركة :

ودخلتُ بيروت الجميلةَ تائقاً   للأهل بعد تشوُّقٍ وتحسّرِ
فأتى اليَّ مفتشاً مأمورها   قال افتح الصندوقَ قلتُ لهُ اصبرِ
فغمزتهُ ووضعتُ في يدهِ مجيـديًّا فقال الشكرُ يا «حضرتلري»
لقبٌ حصلتُ عليهِ مجانًا وكم   لقبٌ هنا أُعطي ببذلِ الاصفرِ
هذه البلاد فقيرةٌ فالذ ما   فيها الهوا والماء والجبن الطري
ارضٌ على فقرائها ساد البلا   لا يستريح بها سوى الرجل السري
ما دامت الحكَّامُ فيها ترتشي   ينجو بها الخاطي ولا ينجو البري
لا شغل للساعي المجدّ بها ولا   ربحٌ هناك لبائعٍ او مشترِ
الجيشُ عريانٌ وحافٍ جوفهُ   خالٍ ومن سنتين لم يقبض «كري»
وطنٌ تغرَّبَ اهلهُ وسيغتدي   بعد القليل وليس فيهِ «دوري»
لا بدع ان سقوطهُ مسقط رأسنا   فرؤوسنا سقطت بهِ بتقهقرِ
لكنَّ هذي الحال زالت وانمحت   وتغيَّرت حالًا وايَّ تغيُّرِ

وتفكَّه آخرون براقبي الصحافة والمطبوعات · فقال شيخ الشعراء المصريين شوقي بك :

لنا رقيبٌ كان ما أثقلهْ   الحمدُ لله الذي رحّلهْ
لو ابتلى اللهُ بهِ عاشقاً   مات بهِ لا بالجوى والولهْ
لو دام الصحف ودامت لهُ   لم تنجُ منهُ الصحُفُ المُنزلهْ
اذا رأى الباطلَ غالى بهِ   وان بدا الحقُّ لهُ أبطلهْ
لو خال «باسم الله» في مصحفٍ   تُغضب «تحسينًا» محا البسملهْ
وعزّةُ الله بلا «عزّتِ»   لا تنفعُ القاري ولا خردلهْ
جرائدُ الترك على عهدهِ   كانت بلا شأنٍ ولا منزلهْ
ان تذكر الخنجر لفظاً تُصبْ   من شدَّة الذعر بهِ مقتلهْ
وان تَصفْ قبلةً لم يَنمْ   من هول ذكرى حادثِ القبلهْ

ومثلهُ في حسنهِ قول جناب عبد الله افندي البستاني في حرّية اليراع :

سرّ الضمير بنادرة الافكار فأنالها ما جلّ من اسرارِ
قد كنتُ ذا وله زمانَ ظننتُها وردتْ حياضَ حمامها بدياري
يا طالما شاء اليراعُ بكاءها فارتاع حابس دمعهِ المدرارِ
ولَشَدَّ ما استوقدتُ صدري بعدها بأسى يذيبُ جوامدَ الاحجارِ
كم عذتُ بالباري فخالوا انَّني كفٌ بمن هو اليراعة بارِ
لم اذكر الشعرى فخافة انَّني في الناسِ الفظُ احرف الاشعارِ
أيدينُ لي حرّ الكلام ومقولي عبدُ الرقيب يشدُّهُ بإسارِ
ان قلتُ وا « حربا » توهم انَّني اسعرتُ نار « الحرب » بانتثارِ
ومن الخطوب الدُّهم اني قائلٌ نلتُ « المراد » ومنتهى الاوطارِ
او منشد يا واهب النعمى اهدني سبل « الرشاد» ولا ينظك عثاري
او هاتفٌ نافت باذخة الذُّرى بالمجد « يا وطني » رفيع منارِ
فالكم كتاب كان طعم بصيرتي قد ابصرتهُ الناسِ طعم النارِ
فاذا ابتدرتُ الى انارة خاطري خطرت عليَّ ملمّتي ببدارِ
لكنَّ بعض أسى وقاني من أذى بشرٍ قد انالوا على الاحرارِ

وزاد على فكاهة الشعراء السابقين اصحاب الشعر العامّي المعروفين بالقوّالة فنظموا في الاحوال الجديدة القرّاديات والمنّى ومنظومات شتى نختار منها ما رأيناه جديرًا بالذكر لحسن ذوقه وجودة سبكه وتفنن قائليه . فمن ذلك مخمّس للقوّال الشيخ خليل سمعان فرح القفالي الشحروري (اطلب المشرق ٥ : ٩٥٨ و ١٠ : ٩٥٥) دعاهُ « صوت الحرّية » فقال في جملته :

صوت البحري من قاع بوسفور العميق لمّا وصل لله من أقوم طريق
المجد ظالّل حزب تركيا الفتاة وانتصر عهد الجديد على العتيق

المجد ظالّل حزب تركيا الفتاة والروح لبتها بعد ذاك الممات
والرب اوهبها علا ونصر وحياة من بعد ما كانت حزينه بائسه
والظالم راح بتخنقها خنيق

من بعد ما كانت حزينه بائسه ومقلله بقيود ضمن المحبسه
طلت علينا من منابر لابسه ثوبًا ظهر من طيه نور ونار
وحامله منشور دستور الوثيق

ثوبًا ظهر من طيه نور ونارْ وحامله منشور ابهى من النهارْ
من فوق جبال مقدونيا لما انتشرْ سلونيك احرارها قالوا السلامْ
على فتاة فيها النجاة من كل ضيق

سلونيك احرارها قالوا السلامْ على قناة منها اتاك عصر السلام
والنور في سطنبول ساد على الظلامْ والرب على البوسفور طلّ من السما
يسمع ندا من كان في قاعو غريق . . .

حينئذٍ حنّ المكون من سماه والتفت في كل من يبغي رضاه
وصار الطبيعي يقرّ بوجود الاله والبري في عطف خالقه انشمل
والظالم اصبح نيرو للحريق

والبري في عطف خالقه انشملْ والظلم بالانصاف والحق انبدلْ
في قوة الرب العظيم الشعب نالْ

وجاراهُ في اطف قولهِ رصيفهُ القوّال الياس افندي الفرأن فنظم القرّادية الآتية :

كنت بأكبر بليه بسجن العبوديه

نادى عسكر السلطانْ كل الرعايا اخوانْ بنته بشّرني السجّانْ
باطلاق الحريه

كلهم سوى بالحقوقْ وصار الظالم عالخازوقْ والخاين اصبح مخنوقْ
واعوانه الجاسوسيه

صاروا الجواسيس السودْ بساعة رحمه طعام قرودْ اسلام ونصارى ويهودْ
صاروا بالحق سويه

صاروا اخوان واحبابْ من ختياريه وشبابْ وما بقي احد يجابْ
من جاسوس السريه

يا ما يتّموا اطفالْ ويا ما كسّروا اقفالْ ويا مـا نهبوا اموالْ
وداسوا حقوق الرعيه

ناداهم كل الاولادْ جاك النصر يا جرادْ لينظّف منك البلادْ
[illegible] صارت مجوّيه

أما لعب دور الشرْ نظّفها نيازي وانورْ الله ينصر العسكرْ
وتحيا كل الجنديه

تحيا تركيا الفتاة لولاها كنّا اموات وكانت كل المطبوعات
بالزوايا مخفيه . . .

يا عالم متنا وعشنا ورب السما انعشنا ما عاد حدًا يدفشنا
عالنلطه البوسفوريه

ما عدنا نخشى الظلّامْ وصرنا نطلق للاقلامْ ما من مراقب يتحكّمْ
ويضيم الجرنالجيه

كان مزيّر « للاحوال » ومقطّم « للسان الحال » وكان مؤخر « للاقبال »
« والنشره الاسبوعيه »

ربّى بقلب « الثمرات » « والبشير » كل الحسرات « بيروت » تبكي بالانات
وتقول يا حسره عليّه

من ريحه انطفى « المصباح » وانتنت كل الارياح « والنار » عانوره ناح
ناره صارت مطفيه

من جوره عا « المحبه » ربّى بقلبها غبّه زالت عن قلبها الكربه
وحمدت رب البريّه

ولاحد مهاجري اميركة قصيد في هذا المعنى وهو القوّال جرجس افندي عبد الله معارف :

الاحرار عمّال برجعوا عابلادنا كل منهم كان بالغربه اسير
كانوا اسارى انما اقلامهم من هولها شابوا الطفالى بالسرير
لا تظن الشعب خامل بالشام مثلما بفكرك وقايم للشخير
في التسادي كل شيء بينوجد وما احد نال المعالي بالحرير
عندك بلبنان كل شهم بتفتخر فيه البلاد واليه بالاصبع تشير
ظلم الحكومه غصب عنهُ بيجبره ان يكون ذليل وجبان وحقير
حيث لو تلافظ بكلمه واحده بيمسكوه وبينشروا عنقه نشير
كم مرّه فتّشوا ضمن البيوت عشرين مرّه يفتشوا بيوم القصير
عاشان ورقه او جريده عادته للكبير بيلقطوا ثم الصغير
ويرفعوا قرارات عليها يصادقوا القاضي والقائمقام ثم المدير
ذاك الزمان الحمد لله قد مضى والظلم مات وعمره اصبح دثير

ومما نظمهُ في جونية ارتجالًا القوّال ناصيف مخايل مراد العرموني قولهُ بعد مطلع القصيدة :

يا اسلام ومسيحيه اسمعوا لي هذا القضيه اهل الارض بطول وعرض
- يقولوا تحيا الحريّه

(الردّة) يا اهالي كسروان صيحوا معي بفرد لسان فليحيَ آل عثمان
ركن الدوله العليه

اهل الارض بطول وعرض يقولوا تحيا الحريّه فليحيا نيازي وانور
والجيوش العثمانيه

اهل الارض بكاملها من اولها لآخرها تركيا الله يسرها
بجاه ربّ البريه
بطل روح الاستبداد نادوها بكل البلاد زمان الماضي ما بينعاد
الظلام نجومه مختفيه
مات الظلم وتلاشى الناس تغنت بماشا الله يديم انور باشا
ابو الهمه القويه

ما شا الله مدينة بيروت ونصارها وسلامين شبا مكيّف مبسوط وكل البشر فرحانين
فيها ما عاد حدا يموت لا بقواس ولا بسكين ولا بصير فيها طرح صوت
البطا والاشرفيه

وما اكتفى شعراؤنا بتزييف ما مضى وكشف القناع عن سيئات الاشرار بل استرسلوا في وصف الهناء الحاضر والامان الشامل واطلقوا العنان للآمال الطيبة في انحسام الداء واستقامة العوج فمدحوا العدل وعظّموا الاخاء وأثنوا على المساواة فكادوا يسقوننا كوثر السعادة فنثمل بسلافة الاجيال الذهبية. قال صاحب العزّة سعيد بك شقير يخاطب الجند العثماني:

اليوم نمرح احرارًا بفضلكمُ   نغدو ونمسي ولا همٌّ ولا نصبُ
قد أُطلق الحرُّ من سجنٍ أُعين به   وعاد للوطن المحبوب مُغترِبُ
فلا جواسيس نخشى من وشايتهم   ولا جرائد تأتينا فنرتعبُ
وان مشينا فلا جاسوس يتبعنا   وان جلسنا فلا جاسوس يرتقبُ
ننامُ في الليل لا الاحلام تقلقنا   وننهضُ الصبح لا خوفٌ ولا رعبُ
كم بين حالٍ اتتنا كلّها طربٌ   وبين حالٍ عدتنا كلها رهبُ

وقال اسعد افندي رستم:

يا معشر القرّاء سرّوا وافرحوا   بشرى تطيب بها قلوب المعشر
من ذا يصدّق اننا في نعمة   كبرى هنا من بعد ويل اكبر
فالعدل قد شمل الجميع بظلّهِ   والناس بين مهلّلٍ ومكبّرِ
لمّا رأى الاحرارُ انّ الظالم   يغمل في الورى فعل الهواء الاصفر
هذا تضيعُ حقوقهُ ويُسامُ ذا   خسفًا وذا يقضي بطعنةِ خنجر
شحوا الرعايا سؤلهم فتخلّصوا   من كل مأمورٍ يجورُ ويفتري
والخائنون تشتّتوا فتطهّرت   اوطاننا من شرّ ذاك العنصر
ولقد غدًن اولياء امورنا   حتى لنَبدر ان يقولوا «...»
وخلاصة الاقوال يا قرّاءنا   جورُ السياسة راق بعد تكدُّرِ

ولقد اقيمَ اليوم مجلس امّةٍ   يقضي و يقضي عن هدًى وتبصُّرِ
وعلى التظلّم صار يجسر كلُّ من   قبلًا عليهِ مخافةً لم يجسرِ

حتى ختمها بقولهِ :

تحيا المساواة التي لا فرق ما   بين ابنِ سوقةَ عندها والسنكري

وهذه الشواعر يجاهر بها العثمانيّون على اختلاف ولاياتهم وتباين نزعاتهم نسمعها من الحدباء والزوراء كما يتغنّى بها اهل الشهباء والفيحاء . قال السيّد عبد القادر العبادي البغدادي :

تولّى زمانٌ كنّا فيهِ نُحقَّرُ   واقبل عصرٌ صرنا فيهِ نوقَّرُ
ولاحت بافق المجد شمسُ عدالة   بها قد غدا وجهُ البسيطةِ يزدهرُ
ألا انَّ عصرًا جاء بالعدل مشرقًا   هو العصرُ لا عصرٌ من الظلم اغبرُ
رعى الله عصرًا فيهِ للحرّ راحةٌ   يقولُ فلا يخشى الانامَ ويظهرُ
يبيتُ قريرَ العين غير مفكرٍ   بما كان قبل اليوم فيهِ مفكرُ

وقال الشيخ معروف افندي الرصافي :

أكرم بعصرٍ حبانا بالمساواةِ   وخصّنا بالتهاني والمسرّاتِ
عصرٌ بهِ الحرُّ مأمونٌ ومحترمٌ   وكان يرمى بانواع الضلالاتِ
عصرٌ بهِ العدل وافانا بامرتهِ   والظلمُ ولّى باصحاب الدناءاتِ
عصرٌ بهِ قد تآخينا فليس ترى   بعد الاخاء طريقًا للمداراتِ
عصرٌ بهِ قد امنّا كلَّ غائلةٍ   من عصبة الشرّ ابناء السعاياتِ
الله اكبرُ هذا العزُّ فابتكروا   خير الدعاء الى ربّ السماواتِ

وقال في دمشق الاديب محمّد شاكر ياسين :

قُلْ ولا تخشَ ملامًا او مللْ   انّ نجمَ الحيفِ والخوفِ أفلْ

الى ان قال :

فتهنّأ ايها الشرقيّ وقُلْ   بلغ الشرقيّ غايات الأملْ
بلغ الشرقيّ ما يأملهُ   والى العلياء بالجدّ وصلْ
ايها الشرقيّ قد بلغتَ ما   كنتَ ترجوهُ فهل ثمّ خللْ
قل لمن عاب الذي بلغتهُ   انّ طيب الورد مؤذٍ بالجُعَلْ
فانبذ البغضاء والحقد ودعْ   كلّ ما فيهِ فسادٌ وزغلْ
كنتَ لا تملك امرًا ثم قد   صرتَ ذا امرٍ فلا تخشَ الزللْ
صرتَ حرًّا ضمنَ قانونٍ بهِ   كلّ ما يأملهُ الشرقيّ حصلْ

كلّ من في الشرق اخوانٌ فلا فرقَ بين الخلقِ من كلّ النِّحلْ
واذا رمت افتخارًا فافتخر بالذي تأتيهِ من خير العملْ
ذُلّ لمن كان ظلومًا غاشمًا اعتدلْ او فاعتزلْ فالعدلُ حلّ

ولم يشاؤوا ان تنحصر تلك النعم في الرجال وحدهم بل دافعوا عن حقوق المرأة ايضًا وطلبوا تهذيبها وتحريرها . فقال حضرة الشاعر خليل افندي بطرس حلوه :

أطلقوا روحها أنيروا نُهاها قد كفاكم إذلالُها وكفاها
هي ليست من دونكم ان يكُ م الله كما قيل منكم قد براها
ان تكونوا من الثرى قد نشأتم فلقد كان ضلعكم منشاها
أجهلتم انّ الاضالع بالإخلاص م تحمي قلوبكم في حماها
فافتحوا عقلها ألا حرّروها نحن نعمى اذا غوت بعماها
هل نسيتم ايام كنتم على الثد يِ وكانت تعزّكم يداها
هي مفتاح ذلّنا وعُلانا فارفعوها وأكرموا مثواها
ليس احلى من قلب امرأةٍ فضلى تهتدي في طريقنا بهداها

لكنّهم عرفوا انّ هذا التغيير لا يأتي بنتيجة الّا اذا ثبت على اصول راهنة ودعائم وطيدة لاسيما الاتحاد . قال جناب أيوب افندي ثابت يامن الانقسام :

قاتل الله كلّ من رامَ شرًا باخيهِ وعاشتِ الوطنيّة
قسمتنا يدُ المفاسد دهرًا فانقسمنا فكان ذلك بليّه
يا لقومي ان تُفسدوا لا فلاحٌ انما تفلحون بالعصبيّه
ان ضحكنا فلنضحكنّ كفردٍ او بكينا فهوا لنبكِ سويّه

وبين الاديب بشير الفورتي في التقدّم التونسي فضل الاتحاد بقوله :

ليس يُرجى لامّةٍ من فلاحٍ غير ان هبّ كلّهم فرد هبّه
شعراء الزمان كم نبّهتنا بنداها وكم خطيبٍ بخطبه
انّ كسر العصاة سهلٌ ولكن كسرة العشر بانضمامٍ صعبه
نحن ان ظلّ جمعُنا في شتاتٍ ليس يرجى لحالنا من قلبه
من رمى بالدواء وهو عليلٌ كيف تقوى على شِفاهُ الأطبّه

وكذا يحرّض جناب الشاعر نعوم بك شقير على التعاضد :

بني امّي اسودَ البرّ هبّا غزتُ اليومَ او نحيا سويّه
حذار فتنةً نسى الينا تحرّكها مطامعُ اشعبيّه
حرامٌ أن تُراقَ لنا دماءٌ مزكّاةٌ وارواحٌ بريّه
ليعضدَ بعضُنا بعضًا ونبني امانينا على أُسسٍ قويّه

ففي ضمّ القلوب الخير بادٍ وفي تفريقها شرُّ البليَّه
وقيتم كلَّ نازلةٍ وكربٍ وأعلى شأنكم ربُّ البريَّه

هذه بعض الشذور الذهبيَّة والاقوال الدريَّة (١ نظمناها على شبه عقد يزدان به جيد الآداب العصريَّة ولعمري انَّها لجديرة بالاسم الذي حلَّيناها به فدعوناها « بالحماسة الدستوريَّة » اذ كلاهما ترمي الى غرض واحد اي الدستور الذي حظي به العثمانيّون فحسبوهُ كنهاية عالم عتيق كبا زندهُ وتضعضع ركنهُ وكمفتتح عهد جديد اشرقت بهجتهُ وتلألأت غرَّتهُ فكأنّي بهم يردّدون جميعًا بلسان واحد قول نعوم بك شقير :

لنهجُر بيضنا الأغماد حتى نُقِرَّ العدل والدستور فينا
من الدستور لا نرضى بديلًا ولو طُحنت انامِلُنا طحينا

فكلُّ هذه الاقوال وغيرها ايضًا مما يطول ذكرهُ تعرب عن رغبة الأمَّة في خلع نير العبوديَّة وعن ارتياحها الى الامن والسلام والوفاق والانضمام. وهي عواطف شرعيَّة لا ينبذها الَّا الذين يودّون الضغط على النفوس ويريدون ترويج نيَّاتهم السيئة وغاياتهم الشخصيَّة

ولو كان الذين قرضوا القريض ونظموا القصائد اكتفوا بان يترجموا عن هذه العواطف الشريفة لأثنى عليهم كلّ عاقل وشكر احساساتهم اللطيفة واطنب على رغبتهم في الخير العامّ ونقل اقوالهم المسجديَّة في كل نادٍ ورواها على رؤوس الاشهاد وقد يسوءنا انَّ بعض هؤلاء الناظمين تجاوزوا الحدود ومالوا الى التطرّف

فمن تلك المبالغات التي لا يرضى بها العقل ويستقبحها شرع الامم المتمدّنة والهمجيَّة معًا نبذ بعضهم لمبدإ الرئاسة. لا بأس ان تكون الرئاسة مقيَّدة لئلَّا تستبدَّ ولكن اين هذا من مبدإ اهل الفوضى الذين لا يرضون برئيس ولا سلطان فيعرّضون العمران البشري لكل الآفات وضروب النكبات. وعليه لا يسعنا المصادقة على ما قالهُ في اميركة جرجس افندي عبد الله معلوف في جوابه على الاديب اسعد افندي جرجس مارون وهو يدَّعي انهُ من المتأخرين لمدافعته عن الرئاسة :

دافعت يا ابن الذكا بدون اقتدار عن الرياسة مع انَّما اصل الخراب
مما حكيت وقلت عندي بتنذر حيك من الجيل الشقي بتنحسب

(١ لا جرم انهُ فاتنا شيء كثير من القصائد الدستوريَّة التي لم تبلغ الى يدنا او بلغتنا بعد كتابة هذا الفصل. ولعلَّنا نعود اليها ونجمع منها نبذة ثانية اذا توفَّرت لدينا المادَّة

ثم يعدّد مساوئ البعض حاملاً على المجموع ذنب الافراد فيقول سامحهُ الله :

جبّة السوداء ودقون الكبار   خربوا الجبل حتى نعق فيهِ الغرابْ
رجال الحكومه كلهم كانوا غجر   ما جمّهم غير بطنهم مثل الديابْ

فيا لله أهكذا يُعرَف فضل مئين من الذوات من اساقفة وكهنة وشيوخ الذين سعوا في اجيال الظلم في الدفاع عن حقوق المظلومين ومساعدة البائسين . وهل نال اليوم الشعبُ كل رغائبه لتشدَّق بعض اهل الثورة كما قال :

والجرائد اظهرت افكارها   بتقدّمهم صار جرنال النصير ! !
وانتقد في كلّ لهجه قاسيه   ما بقا يهمّه مليك ولا وزير

واساء بعض الشعراء ايضاً اذ نادوا بالمساواة ليس فقط في الحقوق والعدل ولكن بالرتب ايضاً وتباين الطبقات (راجع مقالتنا في المساواة في المشرق ١١ : ٨٦٣) فلا يرضون لا بسيّد ولا امير ولا بعالم ولا غنيّ . وقد احسن جناب الاديب الحلبيّ ويكتور خياط اذ افحمهم بقوله :

عظمَ الخطبُ واعترانا البلاء   ودهتنا ألمصيبةُ الدهماء
وُبلينا من الزمان بقومٍ   هم بما يفعلونهُ اغبياء
زعموا انّ في المساوي التساوي   فبنوا كيفما احبّوا وشاؤوا
واستباحوا المحرَّمات ونادوا   تلك حريةٌ وهذا اخاء
كأننا اليومَ سيّدٌ واميرٌ   كأننا اليوم في العلى أكفاء
ليس فينا علّامةٌ يتباهى   بعلوم بل كلّنا علماء

أيها الناسُ قد ضللتم سبيلاً   وخبطتم كأنّكم عشواء
ما التساوي ان تستوي ادنياء   وسراةٌ او ظلمةٌ وضياء
ما التساوي ان يساوى الجهلُ والعلمُ وتعلو المناصبَ السفهاء
واذا استنسر البغاثُ بقطرٍ   فعلى تلكمُ البلادِ العفاء
فدعوا الفصل للحكيم وقولوا الحقّ للداقلين يا جهلاء
ليس من ينكر المساواة حكماً   أننا نحن في الحقوق سواء

ومنهم من اطرأوا حريّة المطابع الى حدّ فاحش فجعلوا الطعن بالاشخاص ديناً وشتم الكرام ديدناً . وعليه قد اصاب الاديب جرجي افندي نخله سعد في تنديده بالصحافة السيئة بقوله :

كثرت عندنا الجرائد حتى   اوشكت ان تُناهز العشرينا
وكثيرٌ يسعى لنيل امتياز   فكأنّ الموجود لا يكفينا . . .

ازعجوا القارئين في كل يوم ... بمواضيع ملّها القارئونا
ثم ظنّوا حرّية القول ان يتّخذوا الطعن والوقيعة دينا
ما اري في جرائد العصر الّا ... سفسطات تُخَطّ حيناً فحينا
ثمّ واحدٌ يعادُ علينا ... قد شبعنا من سمعهِ وروينا
ليت شعري كم يبحثون بامرٍ ... ليس يدرون غثّهُ والسمينا
أبهم يعلم السياسة والفقه ... وعلم الجغرافيا والفنونا . . .
ليس يكفي ان ندرس الصرف والنحو ونَدري التحريك والتسكينا
انّ فنّ التحرير اصعبُ مساً ... ظنّ بعضٌ وقد اساء الظنونا

واسوأ من هؤلاء اولئك الذين توسّلوا بالدستور فاستباحوا في شعرهم ذمار الدين وانتهكوا حماهُ وبخسوا حقوق ممثليهِ . فترى هذا ينسب الى الدين كلّ الشرور واسباب النفور والدين كما لا يخفى يأمر بالاخاء والتحابّ (راجع مقالتنا عن الاخاء في المشرق ١١ : ٩٣٢) . وذاك يزري بالخطباء ويتهمهم حتى انهُ آثار عليهِ خواطر الجموع . وغيرهُ يدّعي انّ الدين لا دخل لهُ في العمران وانهُ من المسائل العرضيّة :

خلّ قسّي وشيخكم في جدالٍ ... واحكِ لي في المسائل الجوهريّة

وان ذكر الدين حكم عليهم بالظلم في وقت الاستبداد تعجّب انهم لم يكرّموا كآلهة مثل السيّد المسيح (زه زه) :

مات عيسى فألّهتهُ الوفٌ ... والوفٌ ماتوا وراحوا ضحيّة !!!

ويجعل آخر كلّ الاديان متساوية كلها صحيحة والله موجدها على اختلافها :

أوَلا تدري انّ ربّك يُعبَدْ ... بجميع الاديان اذ يتمجّدْ
ذاك يدعو عيسى وهذا محمّدْ ... انّ لله في التباين مقصدْ
فاتّقوا الله موجد الاديانِ

فعلى هذا القول يكون الله موجد دين الهنود والصين والاصنام الرجسة وكل الطواغيت والله تعالى عمّا يقولهُ الكافرون مقصدٌ بتباين هذه الاديان . فليت شعري أيوجد كفر اعظم من هذا . فننشدكم الله ايها الشعراء صونوا قرائحكم من كل امتهان ولا تبتذلوا موهبةً جاد بها عليكم المنّان . بل اشحذوها لمدح كل جميل . ونزّهوها عن كل قبيح ذليل . فكل ما يشين الاقلام . سوف يجد الانسان تبعتهُ في آخر الايام . كما قيل :

فارغب لكفّيك ان تخطّ بنانها ... خيرًا تخلّفهُ بدار غرورِ
فجميعُ فعل المرء يلقاهُ غدًا ... عند التقاء كتابهِ المنشورِ

عوائد الحبش

للصيدلي القانوني ميخائيل افندي عبد الله رعد (تابع لما سبق)

٥ الامائر والظواهر والسلام

اذا كان الحبشي من ذوي المكانة في قومه قلّما يخرج من بيته ماشياً بل يخرج راكباً بغلاً وتتبعه حاشيته وغلمانه وعبيده واكثرهم يركضون وراء دابته حاملين البنادق على اكتافهم وعلى مقربة منهُ يجري غلام يحمل بندقية السيد وترسه وسط غلاف من القماش الاحمر المعروف بالجاوي . وهكذا تُعرف اهمية الحبشي من كثرة عدد الحاشية التي تتبعه وليس من رتبته — فقد يكون ذو الرتبة الوضيعة اكثر اهميةً من ذي الرتبة الرفيعة على حسب ثقة الملك او الامير بهِ — وهكذا النساء فانهنَّ على حسب اهمية ازواجهنَّ يخرجنَ راكبات بغلاً وحولهنَّ الغلمان والعبدات وبعض من الرجال المسلحين بالبنادق

قد المنا فويق هذا الى ان الحبشي لا يلبس حذاء في رجليهِ ولذلك ترى على سروج الدواب حلقات من حديد بدل الركابات يعلّق فيهما ابهامه فقط ويهمز الدابّة بساقيهِ على الدوام فيُجريها جري الرهاوين

امّا السلام عندهم ففيهِ كثير من التصنُّع والظواهر فهم يحيّون بعضهم بعضاً بالانحناء ويخرّون سُجّداً على الارض امام الملوك والامراء والرؤساء ولا ينادي احدهم الآخر الّا بقوله : يا سيد . واذا كان بينهما من قرابة او صداقة او معرفة دعاه اخاه والاخ الحقيقي يدعو اخاه « اخي ابن امي » . وعبارات التحية عندهم قصيرة التركيب مع كثرتها تشهد على فقر اللغة الحبشية وقلة تثقيف اهلها فيقولون : كيف انت ؟ كيف صحتك ؟ كيف قضيت الايام ؟ كيف قضيت الليل ؟ كيف النهار ؟ كيف اصبحت ؟ كيف اضحيت ؟ كيف امسيت ؟ كيف قضيت الصيف ؟ كيف قضيت الشتاء ؟ كيف ابوك ؟ كيف امك ؟ كيف امرأتك ؟ كيف اولادك ؟ كيف الدواب ؟ كيف المقتنى ؟ الخ . الى ما لا نهاية لهُ . وعلى كل من هذه السؤالات يجيب المخاطب بانحناء الرأس والظهر قائلاً : بخير يُحمد الله . واذا حان الوداع قبّل احدهما الآخر على شفتيهِ ثم انحنى

كلاهما وقبّل الواحد ركبة الآخر قائلين : كن بخير . فليحفظك الله . فليجمعنا بخير . ويجيب بعضهما على بعض : آمين ثم يفترقان . ولمّا تحية العبد لمولاه وتحية الرعية لملكها او لاميرها فهي السجود الى الارض بلا كلام . والذي يكون منهم ارقى من سواه ومتقرّبًا من مولاه يُسمح لهُ بتقبيل رجليه . وتحيـة الوضيع للرفيع هي الانحناء او السجود على حسب الدرجات والنطق بهذه العبارة : فليعطك الله صحةً . او عمرًا . فيجيب السيّد بفم حاجبه : كيف اصبحت ؟ فيخرّ العبد او الخادم ساجدًا وهو الجواب

ولهم ازياء في لبس الوشاح فهم يتّشحون به على هيئات لها معانٍ وآدابٌ مختصّة بهـا . ففي الحالة الاعتياديّة يتغطّى الحبشي بوشاحه على طول قامته ثم يردّ اطرافه على كتفه الشمال وقد يغطي به احيانًا رقبته ويجمل طرفه فوق انفه ولكنهُ اذا كان بحضرة سيـده أتّزر بوشاحه وردّ طرفه على كتفه اليمين وهي عندهم اشارة الاحترام

واذا جاء الحبشي زائرًا يدخل راكبًا بغله الى امام المسكن ولكنّ حاشيتهُ يُبقون بهائمهم خارج منطقة الزريبة والخدام والغلمان لا يدخلون البتة وهذه ايضًا من علامات الاحترام

٦ الزمان والاعمار

الاحباش اكثر من سواهم من الشعوب المتأخرة في المدنية لا يعرفون للوقت قيمة والعجلة عندهم اسم لغير مسمّى فلا يعملون اليوم ما يستطيعون عمله في الغـد وسيّان عندهم أتى العمـل عاجلًا او آجلًا حتى ان لغتهم نفسهـا ليس فيهـا اشارة ولا اداة تدلّان على المستقبل او تفرقان بينه وبين الحاضر في تصريف الافعـال . لذلك تقدّم بلادهم نحو التمدّن وان محسوسًا انّما يجري ببطء وسكون فقـد جُبلوا على البطء في كل اعمالهم حتى ان الغريب ييأس من جمودهم . في بادئ امره الّا انهُ لا يتم ان يعتاده فلا يقنط من الحصول على مبتغاه عاجلًا كان ام آجلًا

امّا حساب الزمـان عندهم فانهم يتبعون السنة المصريّة وهي تتألف من اثني عشر شهرًا كل شهر منها عدد ايامه ثلاثون يومًا يعقبهم في آخر السنـة شهر صغير عدد ايامه خمسة ايام فقط وهي المعروفة في مصر بايام النسيء يزاد عليها يوم سادس مرّة في كل اربع سنين وهي السنة الكبيسة . وهم ينسبون السنين اربعًا اربعًا الى الانجيليين

الاربعة وعام القديس لوقا هو العام الكبيس عدد شهر نسيئه ستة ايام . وسنفرد للكلندار الحبشي مقالة مخصوصة ان شاء الله .

قلما يكترث الحبش لمعرفة اعمارهم واذا سألت مستفهماً عن عمره اجابك : « ومن اين اعرف ذلك ؟ اسأل امي التي ولدتني فلا بدّ انها تعرف » . او اذا كان ارقى درجة قال لك : « امي قالت لي انها ولدتني عند ما حارب الملك يوحنس الدراويش » او « عند ما ذهب الرأس مكونين لاخضاع بلاد العبيد » او « لما اخذ منليك هرر » او « لما ذهب منليك ليحارب الطليان » ونحو ذلك من الحوادث التاريخية في بلادهم . فبدرس تاريخهم تستطيع ان تحسب اعمارهم

٧ الزواج والمرأة

الحبش وان نصارى قلما يتزوجون طبق الاصول المرعية في الزواج المسيحي . زواجهم اذا تمَّ قانونياً لا يقبل الانحلال على الاطلاق وكنيستهم بذلك تتّبع التقاليد المستقيمة التي ورثتها عن كنيسة الاسكندرية قبل دخول البدعة اليعقوبية فيها . وقد يتطرفون الى اكثر من ذلك حتى يمنعوا اقتران احد الزوجين بعد موت قرينه . ولكنّنا نرى مع الاسف ان قلَّ من تزوّج على هذه الصورة وهم في الغالب يتزوجون زواجاً مدنيا يقوم باتفاق الفريقين واقرارهما بهذا الرضى امام الشهود وبحضرة القاضي . وهذا النوع من الزواج يسوغ فيه الطلاق في ايّ ساعة ولاي حجّة كانت . وعند الافتراق يقتسم الزوجان ما عندهما من الامتعة والاواني والمال متناصفين مع قطع النظر عن الجاني وكيفيَّة جنايته . امَّا الاولاد فالذكور يأخذهم الرجال والبنات تأخذهنَّ الامهات

وقد يتزوَّج الكثيرون من عامة الناس نوعاً ثالثاً من الزواج يقوم بان يتّفق الرجل مع امرأة على راتب شهري او سنوي وله ان يطلق سبيلها متى شاء فيدفع لها المستحق من اجرتها لا غير

فللّبيب غنى عن البيان انَّ الاتحاد على هاتين الصورتين الاخيرتين ليس على الثبات من شيء . ولا هو مبني على اساس وطيد فينتج عنهما تعميم الفساد في العوائد وفي الدين ولا يُستطاع فيهما تربية الاولاد على الاطلاق هذا عدا ما ينجم عنهما من المشاجرات واطلاق العنان للشهوات وتعميم الشرّ والرذيلة في البلاد والسير بها الى التوغل في

التوحش بدل الاقتراب من التمدن. وهذا من الاسباب الرئيسيَّة التي تحول بين الحبشة وسرعة تمدّنهم . والاكليروس مع كثرة عدده لا يستطيع ان يغيّر هـذه العادة اولًا لانهُ جاهل بل قُل انَّ اجهل الناس في الاحباش الكهنة ثم لتوغّل الشعب في ظلام الجهـل واطلاقه الاعنَّة للفساد فلا يصغون لقول الناصح ولا يفقهون ثمرة النصح. نعم ان بعض الكبار منهم يتزوجون الزواج الكنسي لكنَّهم جروا بموجبهِ لان الظروف اجبرتهم عليهِ امَّا هم فلا يدرون ماهيته ولا يعرفون كنهه فتجـد بيوتهم ملأى من النساء غير الشرعيات والخادمات والإماء ولهم اولاد من كلهنَّ وجميع هؤلاء الاولاد شرعيون بعين الهيئة الحاكمة لا يختلف ابن الأمة عن ابن الحرَّة اذا كانا لأب واحـد لا في إرث ولا في غير ذلك من الحقوق. فهذا الامبراطور منليك نفسه ابن الملك هايلا ملكوت فانهُ من غير امرأته الشرعية اذ لم يكن لهُ منها ولد . وهـذا وليّ عهده الامير ياسو ابن ابنته ابوه الرأس ميكائيل الذي لم يتزوج قط بابنـة منايك زواجاً شرعيًا حتى ولا مدنيًا. وهذه الامبراطورة طايتو متزوجة بمنليك زواجاً غير شرعيّ بعد ان كانت زوجةً للراس وَلدي وهو الى اليوم حيٌّ يُرزق. وقد شاع ان زواج هذا العاهل أُعطي صبغةً شرعيَّة كنسية في هذه الايام الاخيرة ولكنَّ هذا زيادة في التقبيح وليس بنذر ا فان الراس ولدي حيٌّ مغضوب عليهِ معزول من وظيفته. فمن هو الاسقف الذي بارك هذا الزواج تزلّفًا او سمح بعقده ؟ . . . نقف عند هذا الحدّ حتى لا يزلق بنا القلم فنكشف الستار ونبيّن الشنار عن كل ما عرفناه وسمعناه منذ ان وطئنا هذه الاقطار التي بجد ذاتها هي جنَّة وخصوصاً في قلب افريقيـة ولكن لم يسعنا الاغضاء عن هذا القليل انتصارًا للحقّ وردًّا لخملات بعض الكتبة الافرنج الذين كتبوا ولم يزالوا يكتبون المقالات الطوال عن الحبشة فينعتون هذه العوائد بالطبيعية ويزعمون انهُ يجب اتباعها في كل مكان وبالتمدّن ال... ولو وقفوا عند هذا ... ... على المذهب الكاثوليكي الذي يعدّ ذلك من المنكرات ... ... استعملت نفوذها وقوّتهـا عضدًا لتعاليمها ونصائحها ... الشرور. نعم ان الكنيسة الحبشيَّة نفسها قبل تمكّنها ... وامرآتها الذين يطلقون العنان لمثل هـذا الفساد و... مثالًا للشعب فيصعب استئصال الشرّ منهُ لا استبدادً

هذه سيرة الاعيان فما عسانا نقول عن الشعب وحالته وكيف نصف الرذائل التي هو منغمس فيها ؟...

امّا المرأة وحالتها فهي ساقطة مستعبدة في بيت زوجها ما خلا بعض الاميرات والشاذّ لا يقاس عليه بل ان الاميرات انفسهنّ وان محترمات مبجّلات في عين الغريب الّا انهنّ عبدات امام ازواجهنّ في معيشتهنّ الداخليّة . وبنوع الاجمال انّ على المرأة في الشعب القيام بمهمات البيت فهي تطحن الحبوب وتعجن وتخبز وتأتي بالماء وبالوقيد من الخارج على ظهرها وتطبخ وتهيّئ الاطعمة وتخضّر البوزا وقلما ترقد ليلها من غير ان يجرّد زوجها عليها عصاه فيضربها ضرباً قاسياً بلا شفقة لاي حجة كانت وقد تكون حجتهُ وهميّة صوّرتها لهُ حالة السكر ولا حرج عليه امام الناس والحكومة . وهي فوق ذلك تذهب الى السوق لشراء الضروريات وتفتل القطن لحياكة ثوبها وثوب رجلها . امّا الغسيل والخياطة فهيا عمل الرجل

وقد يعلّم بعض الكبار لبناته القراءة كما يعلّم اولاده الصبيان الّا ان ذلك نادر جدّاً والنساء اللاتي يعرفن قليلاً من القراءة لا يتجاوزن عدد الاصابع في مجموع انحاء الحبشة

٨ العائلات والاسماء

ممّا تقدم من تبيان سوء روابط الزواج يظهر جليّاً للقارئ الكريم ان من المستحيل ان تُضبط روابط العائلات والانساب وان يُفرق بينها باسماء معروفة . لذلك لا يُعرف الحبشي الّا باسمه الخاصّ ولا يجمع بينه وبين ابيه واخيه وابن عمه مثلاً اسمٌ عامّ يختص بالعائلة وهو ما ندعوه باللقب . فالحبشي هو فلان لا غير والنزر القليل منهم يُعرف بفلان بن فلان لا فلان الفلاني

الّا ان لاكثرهم اسمين اسمٌ بالعمودية او بالنصرانية واسمٌ آخر يُعرفون به وبعضهم يُعرفون فقط باسم العموديّة واخصهم الرقيق . فاسماء العمودية دينية محضة مأخوذة عن اسماء الجلالة واسماء القديسين الشهداء وهم يضيفونها الى « عبد » و « ابن » و « قوة » و « نعمة » و « سلاح » و « غرسة » و « عمود » وما ضاهاها . مثال ذلك : گبرا ازگهار (عبد الله) ولدا ميكائيل (ابن ميخائيل) هايلا مريم (قوة مريم)

تقلا هيانوت (غرسة الايمان) سهلا سلاسيه (نعمة الثالوث) عمدا كرستوس (عمود المسيح) وقس على ذلك ما جرى مجراه . امَّا الاسماء المتعارفة فهي مختلفة الانواع والتراكيب فمنها اسماء ومنها افعال ومنها جمل ومنها اصوات صراخ الى غير ذلك . مثلاً : منايلك (مَن معادلي) مكونين (القاضي) دستا (الفرح) مَسفِن (الامير) فِردا (حكَمٌ) أَبا (أَزهر) وَندمُ أكانيو (وجدتُ انا) زَودي (تاجي) كَبره (خادمي) گبرو (خادمُ) تفري (الهول) أشوا لول (لؤلؤ الرمل) گيتا هون (كنْ سيدًا) إشْ بله (قل لي نعم) طنف يلهم (لن يكون لك ذريَّة) الى غير ذلك مما يضحك الثكلى . وللاناث ايضًا نفس هذه الاسماء على صورة التأنيث

على ان اعضاء العائلة المالكة اليوم وانسباءهم المعروفين بذرّيَّة هايلا سلاسيه (جد النجاشي الحالي ملك الشوا) يعدُّون نفوسهم من الاشراف في الحبشة لا لاستيلائهم على السلطة فقط بل لادّعائهم انهم من سلالة سليمان الحكيم ابن داود النبي . فيتروُون — وهي خرافة يتزلونها في الحبشة مكان الصحة التي لا ريب فيها — ان ميكادي ملكة سبا عند ما ذهبت الى اورشليم اتخذها سليمان الحكيم لهُ امرأة وولدت ابنًا هو منليك الاول (راجع المشرق ٦: ٩١٥) . ولمَّا شبَّ منليك هذا ارسلهُ ابوه الحكيم الى الحبشة مصحوبًا باثني عشر قائدًا يمثلون الاثني عشر سبط اسرائيل وبعدد عظيم من الجنود والحاشية فاتى وضبط زمام الملك وجعل عاصمته مدينة اكسوم . ولما استتبَّ لهُ الامن سمَّى القواد رفقته امراء وقسم بينهم المملكة إمَرات يحكمونها تحت سيادته . لكنَّ ظروف الزمان وكرور الايام ونكبات الحروب غيَّرت هذا التقسيم وقلبتهُ مرات عديدة ولم يزل يتقلب ويتغيَّر ويتقسَّم الى اليوم . الى آخر ما هناك من الحكاية ! . . . فهم يدعون اليوم ان منليك الثاني الحالي هو وعائلته مَن سلالة منليك الاول ابن سليمان . ولا عجب فقد تأصلت هذه الخرافة في الحبشة منذ عهد بعيد وادَّعى جميع ملوك الحبشة وامبراطرتها نفس الادعاء . واتخذوا لنفوسهم نفس النسب مع انهُ مما لا يختلف به اثنانِ من المؤرخين ان هؤلاء الملوك لم يكونوا كلهم من اصل واحد . والله اعلم . وقد دعا الافرنج هذه العائلة بالسليمانية لادّعائها بهذا النسب الَّا ان اعضاءها لا يلقَّبون بهذا اللقب بل هم يتفاخرون فقط بكونهم من ذريَّة سهلا سلاسيه

هذا نظر اجمالي عن عوائد الحبش وهو الاخير الذي نسطرهُ في هذا الاقليم .

وسنلحقهُ بايضاح احوال المهنة الاجتماعية والحكومة في الحبشة وذلك بعد عودتنا الى الوطن العزيز ان شاء الله

نخبة

من امثال القس حنانيا المنيّر

بقلم عيسى افندي اسكندر المعلوف اللبناني (تابع)

معاملات

ما لهذه الكنيسة الخربانة الّا هذا الخادم الاعمى (١ = ما لهذه الدمّة الوخمة الّا هالمرهم النجس = من ساواك لنفسه ما ظلمك أو من عاملك بسوات (بمثل) نفسه ما ظلمك = الظلم بالمساواة عدل = ظلم بالسويّة عدل بالرعيّة = اشكر من انعم عليك وانعم على من شكرك = من ذكّني بعظمته كنت عنده عظيم = الوردة ما بتشبع لكنها تطيّب الناقس (٢ = من رادك ريده ومن طلب بعدك زيده (٣ = من سأف لا يستوحش = من سأف السبت رأى الاحد قدامه = يا ما لستّي (٤ عند سيّدي = الدهر مكافاة = الذي ياكل هالأكلات يبقع هالوقمات (٥ = اخذ التار ما هو عار (٦ = الذي ياكل حاوتها ياكل مرّتها = كما تراني يا جميل اراك = من استحى من شي يضره ما اكتمل عقله = الذي يدقّ الباب بيسمع الجواب = من بزق بكمّك

---

١) ويروى اليوم هكذا (الكنيسة خربانة وخادمها اعمى)

٢) الناقس يريد بها هنا (الأنوف او (الانوف)

٣) رادك بمعنى ارادك. واثبت عين الاجوف في الامر حسب عادة العامة

٤) العامة تستعمل ستّي بمعنى سيدتي

٥) ويروى عندنا اليوم هكذا (اللي بياكل هالأكلات بيموت بالموتات)

٦) ويروى لهدنا (اخذ التار ما هو عيار) والتار بحذف الثار بالتاء المثلثة والعيار بمعنى العار عند العامة

ابزق بدقنه (١ = كثير على نابك كل الناس تستهابك (٢ = الحيط الواطي كل الناس بتنزّه (٣ = لا تعرض بضاعتك بتكسد (٤ = عزّ نفسك تجدها هينها تهان = ضربني وبكى سبقني واشتكى = الضرب لمن سبق = تحركش (٥ بالحئى حتى تجيه البردِيه = مفتاح الشرّ كلمة ومفتاح البطن لقمة = اضرب وعتق الجرح وآخر الدنيا للصلح = ما يقطع بالشجرة الّا فرع منها = دود الجبن منه وفيه = الذي بيمد يده للدراخيش (٦ بتعضه الحيّات

الاعرج والاقرع والاعور

شنيعه وبيتها بعيد وعرجا ودرب بيتها بيزلّق = قال: صبَّحك بالخير يا اقرع. قال: هذا باب الشرّ = اقرع ودقنه طويلة. قال: يمه على يمه = اقرع لا تجاكره وأعور لا تفاكره (٧ = القرعا تتجاهى (٨ بشعر بنت خالتها = بتبان القرعا من ام الشعر = ما هو من خبرتي بقدر ما دخل على قرعتي (٩ = لا تقول طاسة في بيت الاقرع (١٠ = من اين ما ضربت الاقرع بيجري دمه = قالت لها: بكره تعي بكير (١١. قالت لها: على فرشتك هالناعمة ؟ = قرعا وبتنام بالنصف = اقرع وبياكل حلاوة. قال: بفلوسه = هذا

---

١) ويروى (اللي بيبزق بكفي ببزق بوجهه) وبزق محرف بصق
٢) استهابه عند العامة اي خاف منه
٣) نزّ عند العامة بمعنى قفز ووثب وعندي انها محرَّفة عن قفز. والحيط بمعنى الجدار عند العامة وهو محرف حائط
٤) ويروى اليوم (اللي بيرض بضاعته بتكسد)
٥) تحركش محرَّف تحرَّش بهِ اي تعرَّض لهُ
٦) يريد بها هنا الثقوب
٧) جاكرهُ عند العامة بمعنى اغاظهُ واغضبهُ. وفاكرهُ عندهم بمعنى جادلهُ
٨) ويروى عندنا الآن هكذا (القرعا بتتكنّى بشعر بنت خالتها) وتتجاهى تطلب الجاه وتفتخر
٩) تستعمل العامة القرعة بمعنى الرأس الاقرع مطلقاً. ومعناهُ ان معرفتي ليست من ذكائي ولكن من اختباري وممارستي للايام
١٠) لما في الشبه بينهما فيغضب الاقرع
١١) بكرة عند العامة بمعنى غداً وبكير باكر

الاقرع عمري ما جرته = جبت الاقرع حتى يـجّمني (١ كشف قرعته وفزّعني = حرت يا اقرع من اين اجرك = بيطايع من الحافي نعل ومن الاقرع شعر

الصنعة

قالوا لليهود: حطُّوا خرّاجين (٢. قالوا: قوي (٣ دين سميك حتى نسلّف عليه = قالوا للقاق: ليش بتسرق الصابون. قال: الأذى طبع = قالوا للساطمون (السرطان): ليش بتمشي على جنب. قال: شب ويلبق لهُ = قالوا للبغل: من ابوك. قال: انا خالي الحصان = قالوا للخياط: بدك تسافر. وضع ابرته في قاووقه وقال: يا الله (٤ = قالوا للوتد: علامك داخل في الحيط. قال: من الدق الذي لاحقني = قالوا للديب: بدهم يرعّوك الغنم صار يبكي قال: غيرتهم بتضرّ عيني = قالوا لفرعون: من فرعنك. قال: ما أحد ردّني

الجمل

قالوا للجمل: ما هو كارك. قال: بدق بالقصب (٥. قالوا: باين على صبيعك الرفاع وتمك (فمك) الضيّق = الجمل لو بيشوف حردبّته (٦ كان بيوقع بيكسر رقبته = قال: عد جمال ابوك. قال: واحد بارك وواحد واقف = الذي لهُ بالجمل اذنهُ بينوّخه للارض = جمل موضع جمل يبرك = جمل بدرهم ودرهم ما فيه = بيباع الجمل وبيغصّ بالبعوضة = الجمل بفكر والجمّال بغيره = يا ما كثّر هالجمل بطيخ = مثل الجمل بيعض الشندابي (نبات شائك يأكلهُ) وعينه بالاخرى = الجمل اذا بار حمله

---

١) سجّم تصحيف شجّم
٢) الخرّاج الذي يجمع الخراج كالشأّار الذي يجمع الشر
٣) قَوِي عند العامة بمعنى كثير
٤) القاووق شبه طربوش طويل يلبس على الراس ويكون غالباً من الصوف. وتقول العامة (يا الله) عند الابتداء بعمل
٥) الكار عند العامة بمعنى المهنة. ودق القصب عندهم النفخ في المزمار والشبّابة ونحوهما. والصبع جمع اصبع عندهم وكانها محرف اصابيع
٦) حردبّة الجمل سنامه

قنطار = قال: شفت الجمل. قال: ولا الجمّال = كل الجمال بتمارك الّا جملك بارك

الكلاب

قالوا للكلاب: اركضوا وعوّوا. قالوا: ما بنقدر (١ نعمل كارّين سوا = الكلب الذي ما بيروح للصيد الّا بالشباق بنس منه ومن صيده (٢ = قالوا للكلب: كم حجر تاكل باليوم. قال: بقدر ما بشوف زعران = الكلب اذا طاف برّين وبحرين ما يزداد الّا نجاسة = أمّن الكلب على الجواهر ولا تأمنهُ على كسرة خبز = اشبع كلبك يحمي دارك. جوّع قطتك تاكل فارك = الكلب كلب ولو طوّقته بالذهب = الذي يمتاز الكلب بيسميه الحاج كلبون (٣ = ما زاد على القلب الّا ذنب الكلب = كل الكلاب احسن من خيور = حطوا ذنب الكلب اربعين سنة في القالب رجع اعوج (٤ = كلاب اولاد كلاب = كلب ينبح معك ولا ينبح عليك = الكلب الحايم ولا السبع النايم (٥ = خلّف الكلب (ويقال القرد) جرو طلع ألعن من ابوه = دلّت حتى اجا الكلب لحّسها (٦ = كلب الامير امير = كلب داير ولا سبع مربوط = اذا عضّك الكلب انت بتعضّ الكلب = ما ضاعت العصا بالكلب = ربِّ كلبك يعقر جنبك = الجنازة حامية والميت كلب

العين

العين التي شافت وشهدت حال قلعيها = العين ما بتحب أعلى منها = العين ما

---

١) مرّ معنا ان العامة تزيد باء قبل الفعل المضارع واذا وقع بعد هذه الباء نوناً لفظوا الباء ميماً فقالوا منقدر في بنقدر

٢) وروايته عند عامتنا اليوم هي (الكلب اللي ما بيروح عالصيد بلا قالوعة بلاه وبلا صيده) والشباق والقالوعة بمعنى الرباط. وبلاه اي بدونه

٣) وروايته الحالية عندنا (اللي حاوز الكلب بيقول لهُ صبّحك بالخير يا سيّدي)

٤) وروايته عندنا (دنب الكلب ما بيتقوّم ولو حطوه مائة سنة بالقالب)

٥) وهو اشبه بالمثل الشهير (كلب حي خير من اسد ميت)

٦) دلّت اي ذلت من الذل. ولقّ الكلب الماء ونحوهُ اذا شربه بلسانه والفصيح ولغ ولعلّ لقّ محرف ولغ

بترتفع فوق الحاجب = العين ما بتقاوم مخرز = العين بصيرة واليد قصيرة = ما هو حسد لكن ضيقة عين = الذي عينك فيه يد غيرك فيه = شيل من ديله (ذيله) واعصب لهُ عينه (١ = يا حاجبه يا عينيه قال: على المغتسل باين = عند عازتي اليها دبلت عينيها = يا عيني هُوني ومثل الناس كوني = كرامة عين تكرم مرج عيون = ماذا يطلب الاعمى قال: جوز (٢ عيون = عيني فيه وتفوه (٣ عليه = هذه عينك ولّا استعرتها

كثير الغلبة

اللي بيسأل عمّا لا يعنيه بيسمع ما لا يرضيه = الذي بيسمع ما لا يطيق بيتكلم ما لا يليق (٤ = من أحب ان يُطاع فلا يأمر بما لا يُستطاع (٥ = الحية لمّا بتزرك(٦ بتعض ذنبها = كثرة الشدّ بترخي = الحبل بين مجنونين بينقطع = الذي ما بيجي معك تعال معه = راسك ما هو معك طوطحه (٧ = الذي ما بيستحي استحي انت عنهُ = الذي ما هو في ايدك بيكيدك = اليد التي ما بتقدر تعضها بوسها = لا تنام بين القبور ولا تشوف منامات (ويقال ولا تشم ريحة الجيّة) = ابعد عن الشرّ وغنّ لهُ = العب وحدك ولا تغتاظ = لا تقاوم من قال فعل = بيقول يا ارض اشتدّي ما حدا قدّي(٨ = لا تعادي البطّال بيعملك شغله = كل العداوات الّا عداوة البطن = كل العداوات لا تشغل بها ظنك الّا من عاداك في فنّك = الف عدوّ برّا الدار ولا عدوّ جوّا الباب = العدوّ ما بيصير صاحب = الأسى ما بينتسى = من عاش بعد عدوّه ولو ساعة بلغ مناه = لا بد ما تفرح الحزينة ولو (ولو) بعزا (٩ جارتها = عدوّتي مغسّلتي وامها

---

١) ويعناهُ قول عامتنا اليوم (من دبه خانه). والختان المتودّد وقولهم (من دهنه سقّي لهُ)
٢) تستعمل العامة كلمة جوز بمعنى (زوج)
٣) محرّف كلمة نُفّ تقال عندم عدم الاستحسان -
٤) وروايته عند عامتنا الآن هي (حمّل النفس شي ما تطيق بيظهر منها شي ما يليق)
٥) وهو من المثل المشهور: اذا اردت ان تُطاع فسل ما يستطاع)
٦) بتترك اي (لما تُضايق) ٧) طوطحهُ بمعنى نكّسهُ
٨) حدا مقلوب أحد. وقدّي بمعنى قدري ومثلي ونحوهما
٩) العزا عند العامة والحلّ بمعنى المأتم اي الاجتماع لندب الميت

الصبابة = وعد بلا وفا عداوة بلا سبب = اوعدتني وابعدتني = وعد الكريم عليهِ دين = ما فيه عرس بلا قرص (١ = يا ملائكة الله لا تآذونا ولا بنآذيكم = باحس مسنّي وبنام متهنّي (٢ = جا الدبور (٣ يلحس المسنّ = بجديد كرفس (٤ ولا اهينك يا نفس = فلّاح مكفي (٥ سلطـان مخفي = أمّا بسراجَين وشمعه واما على العتمة جمعة (٦ = من ترك شي عاش بلاه = قلة الرزق نياحة = الشبعان بيفتّ للجيعان فتًّا بطي = لا مال يأخذهُ السلطان ولا عقل يأخذه الشيطان = الذي ما لهُ شي ما بيروح لهُ شي

البخل

البخيل ياكل من كيسه والخيّر (الكريم) ياكل من كيس غيره = البخيـل يطعم من بخله الّا كبير البطن = الرزق الخسيس لابليس = قطعـة الخاناتي (يقال مصريّة الخاناتي) بتضيّع حمار المكاري (٧ = الطمع ضرّ ما نفع = كل قليل الحصيّة (اي الكسلان) فيلسوف (او قاضٍ) = اروِ عذرك ولا تروِ بخلك (٨ = اصرف ما في الجيب بيجيك ما في الغيب = يا طالبه كلّه يا خاسره كلّه = يا مسترخص اللحم عند المرقه تندم = طالب الزود وقع بالنقص = احيِ مالك بالك = الذي بتجمعه بالنكاش بتروحه بالرفش (٩ = كسبناهُ بالدبس خسرناهُ بالطحينة (١٠ = الذي بيحسب مونة القطة بتاكل النار دينيه (اذنيه) = ايا اقل عقـل الذي زرع السطح ام الذي

---

١) اي لا يصير فرح بدون كدر
٢) اي أقتنع بما عندي قانعاً . والمِسَنّ حجر الشحذ المعروف
٣) الدُّبور محرّف الزنبور
٤) الجديد قطعة من النقود كل تسعة منها تساوي بارة . والكرفس نبات معروف
٥) اي فلّاح شبعان
٦) العتمة بمعنى الظلمة وجمعة عند العامة بمعنى اسبوع
٧) ويروى عند عامتنا (مصريّة الخان روّحت بغل المكاري)
٨) إروي عند العامة بمعني ارِ من رأى
٩) النكاش المعول . والرفش المجرفة
١٠) الطحينة سائل خاثر يؤخذ من عصير السمسم ونحوه للطبخ

حط البذار (١ = واحد من حيله وآخر من خيره = واحد بكتفه وواحد باله = كبر المنافس (٢ قطع نصيب = بتشوف قبَّة بتخمّن مزار (٣ = الدنيا مع الواقف ولو كان بقل

(لها بقيَّة)

سياحة في سويسرة

للشاب الاديب جرجي بن يوسف الياس سركيس احد طلبة الهندسة في كلّية لوزان

ودَّعنا سنتنا المدرسيّة ودخلنا في ايام العطلة الصيفيَّة فحان لنا ان نأخذ بعد اتعابنا نصيباً من الراحة. وكانت افكاري موجَّهة الى شقيقي انطوان وهو في تونس الغرب انتظر منهُ رقيماً يدعوني بهِ اليهِ لنقضي معاً هذه اشهر الراحة. واذا غائص في هذه الافكار اذ اتاني في ليلة ١١ آب نبأ برقي يفيدني انَّ اخي وصل مرسيلية وسيكون عندي بعد يومين. فحدّث عن فرحي بقدوم الحبيب ولا حرج اذ ليس اشهى على قلب المرء في غربتهِ من اجتماع شملهِ مع اهل تربتهِ. فصرفت واخي يوماً عددتهُ من اطيب ايام حياتي. ثم اتَّفقنا على ان نتجوَّل في انحاء سويسرة فنمتّع ابصارنا بمشاهدها الفتَّانة وآثارها الخطيرة التي تتقاطر السيَّاح الى معاينتها في هذا الفصل من السنة وباشرنا بمدينة لوزانَ التي كنت احسن معرفةً بها فاردتُ ان اعرض محاسنها على اخي فأصبح لهُ فيها دليلًا وهي تستحقُّ شرف التقدُّم

لوزانَة حاضرة احدى مقاطعات سويسرة وهي مقاطعة ڤود (Vaud) المعدودة من اجمل وابهى ايالات سويسرة بل من كل بلاد اوربَّة فانَّ موقعها على منعطف حوض بحيرة المتوسط بين مقاطعتي نيوشاتل وجنيفة تُشرف عليها شرقاً جبال الالب وغرباً تقابلها قمم جبال جُورا وفي جنوبها وادٍ عجيب كثير الاشجار غزير المياه تتوفَّر فيه المناظر الطبيعيَّة الخالبة للابصار. امَّا حاضرة هذه العمالة لوزانَة فانَّها احدى كبار

وى لهذا (ام الذي استملَّهُ)
. تنافس بمعنى كبر النفس
وى لهذا : ببخرب قبَّة وبيعمِّر مزار)

مدن سويسرة على ضفَّة بحيرة جنيفة التي تدعى ايضًا بحيرة ليمان تحدق بها الدساكر والجواسق والرياض والخمائل والكروم وتختلف فيها الحزون والبطون وتجري فيها جداول المياه واليها تتوارد السيَّاح زرافات زرافات في اشهر الربيع والصيف يعدُّونها كجنَّة الاقطار الاوربيَّة ٠ وبيوت المدينة على عدَّة آكام وربى تمرُّ بينها ثلاثة شوارع كبيرة لا يقطعها السابلة الَّا بطلوع او نزول دائمين واهلها اليوم نيف وخمسون الفًا واللغة الغالبة عليهم هي الفرنسويَّة الَّا انَّ كثرة الاجانب المتردّدين اليها وتوسُّطها في البلاد تضطرُّهم الى درس اللغات الشائعة في اوربَّة كالالمانيَّة والانكليزيَّة والايطاليَّة وفي لوزانة كليَّة شهيرة عظيمة الشان يبلغ عدد الطلبة المتأبّين لحضور دروسها ١٣٠٠ طالب يقبلون اليها من كل أوب وفجّ ليدرسوا فيها خصوصًا الطبّ والفقه والهندسة ولاساتذتها سمعة مستفيضة في انحاء اوربَّة

وكان اول ما زرناهُ ابنية تلك الكليَّة وهي مشيَّدة على احدى اكمات المدينة فقصدناها مارّين على جسر بني بين جبلين ٠ والكليَّة عبارة عن بناء فخيم في واجهتهِ مدخل يروق العين بهندستهِ فرقينا درجهُ ووصلنا الى قاعتين كبيرتين يُلقي فيهما الاساتذة دروسهم تسع كل منهما ٣٠٠ تلميذ ٠ وخرجنا منهما الى باحة فسيحة تزينها اجناس الزهور على هندام جميل وفي وسط الحديقة بركة تترقرق مياهها في صفاء الدمعة ٠ ويحيط بالباحة قناطر تستند الى عواميد من الرخام الصناعي مسقوفة بالزجاج لا يمالك الداخل من العجب بحسنها ٠ وعن شمال القناطر دار التحف فيها مجاميع من الرسوم والنقوش والتصاوير لابرع الصنعة واشهر المصوّرين تمتاز بينها مناظر الطبيعة كالجبال والغابات والمواشي الراعية تحسبها حيَّة حيَّة لدقَّة صنعها ٠ وهناك التماثيل في كل هيئاتها منظومة بذوق وحذق منها بالرخام ومنها بالجصّ او بالموادّ المعدنيَّة ٠ ومن عن يمين القناطر خزانة كتب عامرة لا يقلّ عددها عن ٢٢٠,٠٠٠ ٠ وفي هذه الكليَّة متاحف اخرى للنبات والحيوان وعلم طبقات الارض لكنَّ العملة كانوا يشتغلون في تنظيمها فلم نستطع ان نزورها

وفوق هذه الكليَّة على ذروة الاكمة الكنيسة الكاتدرائية التي ابتناها الكاثوليك في سالف الاعصار وضبطها البروتستانت وهي اليوم في ايديهم وهذه الكنيسة من الابنية الجليلة لها قبَّة جرس يُرقى الى اعلاها بنحو ٢٥٠ مرقاة وهناك سطح علوُّهُ ٦٠

متراً صعدنا فوقهُ فسرّحنا النظر على كل اطراف المدينة فلاحت لنا كلّ ابنيتها وآثارها وكل تقاسيمها بل كنّا ننظر بساتين المدينة ومزارعها مع بحيرة ليمان الرائقة الجبين التي ترتسم في مياهها صور الآكام المجاورة كأنها المرآة الصقيلة. وكذلك كان نظرنا يرتفع الى عنان السماء فيشاهد تقاطيع جبل جورا والقرى التي تستند الى معاطفه. وفي داخل هذه الكنيسة ضرائح اساقفة المدينة الاقدمين من الكاثوليك فتذكّرنا ما كان لهم من الايادي البيض والمشروعات الصالحة التي لم يزل التاريخ مدوّناً لها

ثم انحدرنا من سفح المدينة لنزور مجلسها البلدي ولم يَدُر على خلدنا انّ معاهدهُ مقفلة في ايام العطلة. فاكتفينا بان نجول في الحديقة العمومية التي امام تلك البناية ونعاين تمثالاً رائعاً للبطل السويسري غليوم تال نُصب فوق دار الحكومة

وبعد الغداء سرنا الى اوشي (Ochy) وهي على ساحل البحيرة يعتبرها اهل لوزانّة كفرضة مدينتهم وكانت سابقاً بعيدة عنها لكنّ المدينة لم تزل تتّسع حتى كادت تتّصل ابنيتها. ولمرسى اوشي رصيف عريض طولهُ ٣٠٠ متر تحيط به عن طرفيه الجنائن والاشجار وقد أُعدّت هناك مقاعد يجلس عليها المتنزّهون بازاء البحيرة تمتدّ ابصارهم الى تخوم فرنسة ومدينة اڤيان فيقضون الساعات والعيون لا تملّ من مراقبة الطبيعة ومشاهدها الساحرة

وكان على ساحل البحيرة سفينة حان وقت سيرها وقد ركبها الناس افواجاً مزدحمة وقصدهم ترويح البال في قرية ڤڤاري (Vevey). فما لبث الرُبّان ان آذن بالرحيل فحملتنا اجنحة البخار وسرنا موازين لساحل البحيرة والعيون شاخصة الى ما هناك من اعمال الخالق. واجتزنا عدّة قرى حتى بلغنا بعد ساعة الى ڤڤاري حيث تتسع البحيرة فيبلغ عرضها ١٣ كيلو متراً

نزلنا في تلك البلدة ليس لنشاهد آثارها وهي خاوية منها لكن لنتوقّل من هناك في جبل عالٍ يقصدهُ السيّاح من اقاصي البلاد ويدعونهُ جبل بارين او جبل الحاج علوهُ ٨٥٠ متراً فوق لوزانّة يعاينون في قمّته منظراً فريداً في جنسه جامعاً لمحاسن طبيعية شتّى قلّما يرونها مجتمعة في مكان واحد. والرقيُّ اليهِ شديد عسر وكان السيّاح لاسيَّما الانكليز منهم يتفاخرون في صعودهِ لما يخفّ بالراقي من المخاطر اما اليوم فقد جُهّزت لهُ سكّة حديديّة تعرف بالسكّة السلسليّة (funiculaire) تجري صعوداً وهبوطاً بموازنة الانتقال فتقطع المسافة بين سفح الجبل وقمّته في ٢٦ دقيقة. ويا ليت اللبنانيين يتّخذون

سككاً مثلها في بعض انحاء جبالهم وخصوصاً من جونية الى حريصا او غسطا فيوفرون على نفوسهم زمناً طويلاً ونفقات باهظة ويصبح لبنان مورداً للثروة قريباً من المصطافين يتزلون من الجبل الى بيروت او يصعدون منها الى الجبل بساعة واحدة دون عناء

فبعد برهة من الزمان دخلنا قطار السكّة واذا بجرس كهربائي اخذ يدقّ اشارةً الى اوان السفر . فجعل القطار يصعد رويداً رويداً مرتفعاً على منعطف تلك الجبال العالية ونحن ننظر من نوافذ الزجاج الرؤى البديعة التي زانت بها يدُ الخالق تلك الاصقاع . وكانت تلك المناظر تزيد حسناً وغرابة على قدر ارتفاعنا وتشغلنا عن التفكير في ميل السكّة ومسيرها على منعطف الجبال فلو قُطعت سلاسلها لأودت بحياتنا لا محالة فمرَّ علينا ثلث ساعة ونحن لا نزال نتوقّل في تلك المشارف وكنّا نشمّ بهواء الجبال الصافي الذي ينعش قوانا ويلطّف حرارة صيفنا حتى وقفت السكّة عند حدّها

نزلنا في المحطّة ثم واصلنا السير ماشين فلقينا هناك من الغابات والاودية وجداول المياه ما كان ينسينا اجمل مناظر لبنان . وكان الثلج لا يزال كاسياً بثوبه اليقق آكاماً عديدة فتجوّلنا فيها وقضينا العجب من محاسنها . واهل لوزانّة قد زادوا على رونق الطبيعة . وجهّزوا تلك الامكنة بما يشوّق السيّاح الى رؤيتها فمهّدوا الطرق ومدّوا الجسور والمعابر وابتنوا بعض المنازل لفصل الصيف فيجد فيها المسافرون ما يحتاجون من المشروبات وخلاصة الكلام انَّ تلك الانجاد جديرة بما يثني عليها السيّاح من الاوصاف الشائقة فلا تبرح من ذكرنا طالما حيينا . ورجعنا في مساء ذلك النهار الى لوزانّة منحدرين بقطارنا السابق ذكرهُ وكانت الشمس عند عودتنا على ظهر السفينة تضرب باشعّتها قبل غروبها قمم جبال الالب فتصبغها بالوانها القرمزيّة ثم الورديّة ثم الصفراء ما كان يأخذ بمجامع القلوب وتندهش لهُ كل الابصار

وكان اليوم التالي واقعاً في ١٥ آب وهو يوم عيد انتقال العذراء الى السماء فقضيناهُ بالمدينة واكتفينا باتمام فرائضنا الدينية في كنيسة قريبة من منزلنا . وقد سُرَّ اخي من عبادة السويسريين الكاثوليك الذين يُعرفون بشدّة اعتصامهم بحبل الدين وقد جاهدوا في سبيل ايمانهم جهاداً مشكوراً حتى اضطرّوا الحكومة الى ان تمنحهم الحريّة التامّة وترعى حقوقهم بعد ان هضمتها زمناً طويلاً

وكان ذلك اليوم يوم السبت وفيه تُقام سوقٌ حافلة يتوارد اليها الاهلون من كلّ

القرى والمزارع المجاورة. وهناك ساحة كبيرة تراها في ذلك اليوم غاصّة بالباعة يعرضون فيها كل غلّات البلاد ومحصولاتها ومواشيها لكلّ صنف منها مقام مألوف يقصده الالوف من الزبائن

وفي صباح الاحد في ١٦ آب نهضنا من النوم باكرًا وتأهبنا لسفر اسبوعين نقضيها في السياحة . وكنّا قطعنا لنا تذاكر تخوّل لنا حقوق التجوال حيثما شئنا في انحاء سويسرة في سككها الحديديّة وسائر سفنها وذلك بثمن بخس لا يتجاوز قدره ٤٠ فرنكًا فركبنا الباخرة في اوشي فأقلّتنا بنصف ساعة الى اڤيان (Evian) وهي مدينة فرنسويّة واقعة على حدود البلادين . واڤيان مدينة شهيرة بحمّاماتها المعدنيّة يقصدها كثير من ذوي العاهات لاسيما ارباب الثروة ووجوه القوم

وكان وصولنا الى اڤيان الساعة التاسعة والاجراس تُقرع فتدعو المؤمنين لحضور القدّاس فكنّا من المجيبين لدعوتها فدخلنا الكنيسة حيث كان احتشد الناس من كل رتبة ومقام فغصّت بهم الكنيسة مع رحبها حتى تعسّر علينا وجود مكان لنا . امّا المدينة فكثيرة الفنادق حسنة الابنية لكنّنا لم نجد فيها ما يستحقّ الذكر

وبعد الظهر عدنا فركبنا السفينة وسرنا موازين للاملاك الفرنسويّة حتى بلغنا قرية مونترو (Montreux) وهي بلدة صغيرة تشبه اڤيان بمنازلها الكبيرة ويكثر فيها في الشتاء وقع الثلج ويتّخذون لهم الاحواض الجليديّة فيزلجون عليها بالمزالج الحديديّة (patins) ويقصدها القوم لهذه الغاية

ثم توجّهنا يوم الاثنين الى مدينة فريبورغ وهي على مسافة ساعة ونصف بالقطار الحديدي . وفريبورغ هذه احدى حواضر سويسرة وبها دُعيت احدى مقاطعات ذلك القطر والكاثوليك يعتبرونها كعاصمة ديانتهم في سويسرة . فبلغناها في ضحى النهار . وعند نزولنا من القطار رأينا اسقف المدينة منحدرًا منهُ يصحبهُ احد كهنتهِ وسار كلاهما ماشيًا الى الدار الاسقفيّة فتعجبنا من بساطة ذلك الحبر وحيادهِ عن كل فخفخة وجاه عالي

فريبورغ تُقسم الى قسمين المدينة العليا والمدينة السفلى فقصدنا هذه الاخيرة وتجوّلنا في احيائها وزرنا منتزهاتها وفي وسطها يتخلّل نهر يُدعى سارين (Sarine) على حافتيهِ الاشجار والحدائق . امّا المدينة العليا فموقعها فوق ربوة مرتفعة وكل الطرق التي

تؤدي اليها كثيرة الانحدار يُصعد اليها بالمراقي العديدة ومن فوقها يكشف الناظر على بلاد واسعة كثيرة المحاسن الطبيعيَّة

ومن عجائب فريبورغ كنيستها الكاتدرائيَّة التي تُعَدّ من الآثار الهندسيَّة الفخيمة يُرقَى عهدها الى القرن الثاني عشر ومن خواصها ارغنها الشهير المعدود بين تُحَف الآلات الصناعيَّة. انشاه لويس موزو سنة ١٨٣٩ وكان اكبر ارغن يُعرف في العالم حتى اصطنع اليسوعيُّون ارغنهم في كنيسة سان فرنسيسكو ففاق عليه الَّا انَّ الزلازل التي حدثت في تلك المدينة اتلفت ارغنها فعاد للارغن السويسري مقامه الاوَّل وقد تبلغ ابواقهُ ٧٨٠٠ بوق وكل محبّي الادوات الموسيقيَّة اذا مرُّوا بفريبورغ عدُّوا زيارتهُ كفرض واجب وفي الكنيسة موسيقي حاذق يدقهُ للزوَّار اذا بلغ عددهم ستَّة ودفع لهُ كل زائر فرنكًا أجرة تعبه. وكنَّا نحن يومئذٍ ٣٠٠ زائر فشنَّف آذاننا بانغام هذه الآلة العجيبة التي تمثل كل اصوات الطبيعة احسن تمثيل وتهيّج كل العواطف في قلوب سامعيها فكنَّا نظنّ عند سماع نغماته تارةً انَّ اجواقًا من الموسيقيين يعزفون على ضروب من آلات الطرب في اقاصي المدينة وتارةً انَّ الرعود تدوي فوق رؤوسنا فترتجّ لها اطراف الكنيسة. وكان آخر ما اسمعنا صوتًا رخيمًا للغاية فحسبنا انهُ صوتٌ بشريٌّ لاحدى السيدات تنشد نشيدًا تقويًّا طربت لهُ كل مشاعرنا. فخرجنا من تلك الكنيسة وكلُّنا ألسنة تنطق في مدح مفاخرها

وفريبورغ كما سبق مركز الكثلكة في سويسرة اشتهر فيها كثيرون من مشاهير الافاضل. وفي احدى كنائسها قبر رسولها الطوباوي كانيسيوس اليسوعي الذي في القسم الثاني من القرن السادس عشر شرَّف باعماله وتآليفه وفضائله السامية بلاد المانية والنمسة وسويسرة وتصدَّى للبراطقة في تلك البلاد فاستحقَّ ان يدعى رسولها. وكانت وفاتهُ في فريبورغ فاتَّخذهُ اهلها كشفيعهم. ولما كانت السنة ١٨٩٧ وهي المئة الثالثة لموته حجَّت الى قبره الألوف المؤلفة من نواحي اوربَّة حتى اناف عددهم على ٣٠٠،٠٠٠ وعُقدت حفلات عظيمة اطرأ فيها الكاثوليك محامد شفيعهم وعدَّدوا اعمالهُ الجبَّارة في خدمة بلادهم وتنشَّطوا على مثاله لكل الاعمال الخيريَّة في سبيل الدين

ثم طفنا البلدة متنقّلين من اسفلها الى اعلاها ومررنا على جسريها العجيبين وهما من اعمال الصناعة الفاخرة الدالَّة على ذكاء مهندسها. والجسر الواحد طولهُ ٢٣٠ مترًا في

عرض ٦٠ وهو ممدود فوق وادي سارين وموثق بثلاث سلاسل ضخمة وكنَّا نشعر ونحن نقطعهُ بارتجاجهِ واهتزازهِ الَّا انهُ غاية في المكانة . امَّا الجسر الثاني فقد اصطنعهُ الفرنسويُّون سنة ١٨٦٠ واصلحوهُ سنة ١٨٧٤ وهو اقصر من السابق لكنَّهُ اعلى منهُ فانهُ يرتفع فوق الوادي على علوّ ٧٤ مترًا فيرى المجتاز عليهِ المُشاة في الوادي صغارًا جدًّا ويشاهد كل مدينة فريبورغ مع بعض اسوارها القديمة المحيطة بها

وفي فريبورغ دار تُحف تشتمل على عاديَّات ثمينة عزيزة الوجود فتفقَّدناها بشوق وكان الدليل يرافقنا ويشرح لنا ما تحتويهِ كل قاعة من النوادر . واغنى ما في هذه الدار عاديَّاتها السابقة لعهد التاريخ من طور الظرّان اذ كان الانسان لم يتَّخذ بعد الحديد والمعادن فيصطنع اثاثهُ واسلحتهُ من الصوّان والعظام وغيرهما . وكذلك المتحجرات من النبات والاصداف فانها كثيرة مختلفة الاجناس غريبة الهيئات . هذا فضلًا عن هياكل حيوانيَّة لبهائم قد فُقد اليوم جنسها ووُجدت عظامها فركّبت على صورها القديمة على ادقّ منوال

وفي اصيل النهار ودَّعنا فريبورغ وركبنا القطار متوجهين الى عاصمة كل المقاطعات السويسريَّة اعني بِرْن ولا تبعد بالسكة الحديدية عن فريبورغ سوى نصف الساعة وفيها تقيم الهيئة الحاكمة وعمدة الجمهوريَّة السويسريَّة ورجال دولتها ورئيسها المسيو مولار . امَّا عدد سكَّانها فلا يزيدون عن ٦٧,٠٠٠ نفس

وجدنا بِرْن مدينةً واسعة الشوارع غاية في النظافة وكنَّا اذا خطرنا ببعض الخطوات وجدنا سُبل الماء يعلوها التماثيل والمنحوتات الجميلة . وبرن كفريبورغ مبنيَّة على آكام مرتفعة تمتدّ بينها الجسور لكنَّ جسورها ليست معلَّقة بالسلاسل ولها نهرٌ يمرُّ بها اسمهُ آر (Aar) يتكوَّن منهُ في مسيرهِ بحيرتان جميلتا المنظر بُحيرة بِرِيَنْز (Brienz) وتول (Thul) وفي وسط المدينة ساحة واسعة يزدحم فيها الناس لاسيا في ساعات الفراغ فيسرّحون انظارهم على مجرى النهر الذي ينصبُّ قريبًا منهم بمياههِ الزاخرة على هيئة مهيبة وتعلو فوق رؤوسهم جبال الالب الشاهقة المدعوَّة باسم بلدهم الالب البِرْنيَّة (Alpes Bernoises) . وبازاء هذه الساحة ايضًا دار الحكومة وهي فخمة فاخرة على ابوابها شعار بلاد سويسرة وشارات مقاطعاتها كلّها بالفسيفساء والحجارة الملوَّنة

ويلي دار الحكومة شارع يؤدي الى احواض وبرك عديدة فاجتزنا بهِ وسرنا الى

خارج المدينة حيث رأينا صيرًا واسعًا تُربّى فيه الأدباب الحيّة ولها خدمٌ يقومون بحاجاتها. امّا اعتناء البرنيّين بالدببة فلانَّ شعار مدينتهم هو الدبّ وكانوا في القرون السالفة يصطادونها في جبالهم بين الثلوج الغرّاء التي تعلو فوق اطوادهم ويتغذّون بلحمها. واليوم ترى صورة الدبّ مرسومة على ابوابهم وعلى قبعاتهم وملابسهم وعلى ازياء حكومتهم. ولتلك الادباب الحيّة حُفر تُقيم فيها وحولها درابزينات من حديد يتزاحم عليها الناس ليشاهدوا تلك الضواري وهم يلقون لها المأكولات فتثب عليها وتتلقّفها بحركات مضحكة

وبتنا تلك الليلة في برن ولمّا كان رأد الضحى في اليوم التالي ركبنا السكّة قاصدين السفر الى تون (Thun) وكان ذلك اليوم سوقًا لاهل برن تقاطر اليها القرويون من كل فجّ ليبيعوا محصولاتهم ويقتنوا بدلًا منها ما يحتاجون اليه من امور المعاش. وبعد ساعتين وصلنا الى محطّة شرزلين ونزلنا الباخرة التي عبرت بنا في بحيرة تون وهي بحيرة صقيلة المياه كالسجنجل تكتنفها الاعشاب والاشجار والخُضَر فتنعكس صورها في المياه. وامامها التلال والجبال التي منها ما تكسوهُ الثلوج المخلّدة بشملتها البيضاء. وكنّا نرى من حين الى آخر بازاء شلّالات تتساقط مياهها من اعالي الجبل فتتطاير من حولها كالضخّة الكبيرة وترسم كل الوان قوس قزح وهي من ابهى مشاهد الطبيعة. ثم عدنا بعد ذلك الى السكّة الحديدية حتى وصلنا الى بحيرة برينتز وهي كبحيرة تون في مناظرها البديعة. وليس في سويسرة ابدع من هاتين البحيرتين ومن بحيرة لوسرن وفي فصل الصيف ترى السيّاح يتناوبون في زيارتها جماعات جماعات لا يكاد يخلو منهم يوم واحد

وفي بحيرة برينتز هذه تصبُّ شلّالة شهيرة وهي شلالة كيزباخ وهناك قرية تدعى بهذا الاسم ومياهها تتدفّق في بحيرة من علوّ ٣٠٠ متر وقد متّعنا بنظرها الابصار ونحن على ظهر السفينة والشمس تضرب عليها اشعّتها الذهبيّة. امّا في ظلام الليل فقد جهّز لها الاهلون اجهزة كهربائيّة اذا اوقدوها صبغت المياه بالوان زاهية لا يفي بحسنها وصف والغرباء في رحلهم يطنبون في جمالها

ونزلنا في قرية برينتز فنقلتنا سكّة حديديّة ضيّقة الاسلاك مسنّنة كسكّة لبنان فررنا بين جبال واودية عميقة ونحن نسمع خرير المياه من كل جانب والانهار والجداول تخترق تلك الامكنة فتارةً تطرب لرقرقتها وحينًا تصبُّ من شدة صوتها كدوي الرعد

تتحدَّر من روؤس الجبال. وهـذا المضيق تتناوب فيه المشاهد البهيَّة نرى على مدى البصر مناظر تسحر اللبَّ وتحيك في القلب وكان القطار يسير الهوينا فيسمح لنا بمعاينة تلك الرؤى الفتَّانة منها عدَّة بحيرات صغيرة وغابات وخمائل ومناجع للقطعـان فما كان لساننا يفتأ عن الشكر للخالق الذي نعَّمنا بهذه المحاسن

وكان وصولنا الى لوسرن (Lucerne) الساعة ٧ ونصف مساء يوم الثلثاء وهي حاضرة مقاطعة تُدعى بها وموقعها على نهر روس (Reuss) الذي يقسمها الى قسمين يجمع بينهما جسران عظيمان. والنهر يخرج هنـاك من البحيرة بجلبة شديدة فيتحدَّر منها وينصبُّ في نهر آر . امَّا البحيرة فتدعى ايضاً بحيرة لوسرن او بحيرة المقاطعـات الاربع وهي مستطيلة تدخل مياهها في الاراضي والصخور فتتكوَّن منهـا الخلجان والروؤس الصخريَّة بهيئات غريبة . وضواحي المدينة كثيرة الخصب جيِّدة التربة تتوفَّر فيهـا المراعي والبساتين والكروم

امَّا المدينة فمتوسطة الكبر واهاليها لا يتجاوزون ٣٧٠٠٠ نفس لكنَّها انزه واجمل مدينة في كل مقاطعات سويسرة ليس فقط لحسن موقعها ووفرة مشاهدهـا الطبيعيَّة لكن ايضاً لمنازلها الفخمة وبناياتها اللطيفة ولزخرف اهاليـا في الملابس والازياء المختلفة وفي مساء كل يوم تتألف فئات من المغنين فيتناشدون الاغاني الوطنيَّة ويعزفون بالآلات الموسيقيَّة الى اواسط الليل

وتجوَّلنا في شوارع المدينة فرأينا فيها الناس كأنهم في يوم عيد تظهر في ملابسهم وحركاتهم امارات الفرح والنشاط . واكثرهم يسيرون الى الشارع المجاور للبحيرة فتبعناهم واذا هناك فسحة واسعة على جانبيهـا اشجار الكستنا الوارفة الاغصان تظلِّل تلك الباحة وبين الشجر جوقات الموسيقيين يعزفون بآلات الطرب . ومن تلك السـاحة كنَّا نرى الجبال التي تحفُّ بالمدينة اخصها جبل يدعونهُ جبل بيلاطوس كثير الصخور صعب المرتقى يصعدون اليه بسكَّة حديديَّة سلسليَّة وعلى قمَّة الجبل مسارج للانوار يوقدونها اذا خيَّم الظلام على الارض وتتألَّق ضياؤها مشعَّة فترى عن بُعـد . وكانت القوارب البخاريَّة والسفن الصغيرة تتنقَّل بين الشواطئ وفيها الانوار الملوَّنة لكلّ سفينة نورهـا لتمتاز بهِ عن اختها . وكان مبيتنا تلك الليلة في منزل احد الاهلين في حجرة من طابقه الرابع اذ تعسَّر علينا وجود مكان فارغ في فنادق المدينة لكثرة الاجانب فيها

هبنا صباح الاربعاء من الفراش لنتجوَّل في انحاء المدينـة لئلَّا يفوتنا شيء من طُرَفها قبل فراقها. فممَّا يستحقّ الذكر بعد مشاهدها الطبيعيَّة صورة تمثال عظيم نُحت في الصخر يمثّل اسدًا ضخمًا نفذ فيه رمح صيَّادٍ فصرعهُ وكاد يصرم حبـل حياتهِ على انَّ الاسد يجاهد بما بقي فيهِ من القوَّة ويتلوَّى ويزأر فيتأثَّر الناظر لشـدَّة سطوتهِ وهول نظرهِ وانحلال قواهُ بفقد دمهِ. وامام الاسد شعار ملوك فرنسة زهرة السوسن دلالةً على سقوط آل بربون في سويسرة. وهم الرموز عنهم بهذا الاسد الهائل الذي طولهُ سبعة امتار وهو قائم في وسط كهف فسيح. وحول هذا التمثال مقاعد يجلس عليها الناس ليتأملوا دمية الحيوان (التتمة لعدد آخر)

—·:>>:o:<<:·—

قصة القديس ديونيسيوس الاريوپاغي

ورسالتهُ الى ابولوفانيس

للاب بولس يترس اليسوعي من جماعة البولنديين

يعرف القرّاء ما رواهُ كتاب اعمال الرسل (١٧: ١٦–٣٤) عن بشارة القديس بولس الرسول في اثينا وتنصُّر ديونيسيوس الاريوپاغي على يدهِ مع امرأة تُدعى داماريس وآخرين معها. فهذا غاية ما افادنا التاريخ الصحيح عن ذلك الرجل الشهير الذي كان يعتبرهُ قدماء الكتبة اليونان كاوَّل اسقف لاثينا

على انَّ المدلّسين لم يكتفوا بهذه الرواية بل اصطنعوا باسمهِ عدَّة تآليف اعلنوا بها لاوَّل مرَّة في المجمع الذي عقدهُ يستنيان الملك في القسطنطينيَّة سنة ٥٣١ وقيل ٥٣٣ لاقناع اهل بدعة الطبيعة الواحدة من اشياع ساويروس الانطاكيّ. فاستشهد المبتدعون لتأييد ضلالهم باقوال نسبوها لديونيسيوس الاريوپاغي. فللحال تصـدَّى لهم الآباء الكاثوليك وفي مقدَّمتهم لاونسيوس البوزنطيّ وانكروا صحَّة تلك الشواهد المزوَّرة. لكنَّ انصار البدعة المنوفيسيَّة لم يكترثوا لاحتجاج الكاثوليك واخذوا في توفير نسخها فانتشرت تلك التآليف المصنوعة في جهـات شتَّى على يدهم والمرجَّح اليوم انَّهم هم الذين الَّفوها. ثم نقلها الى السريانيَّة اليعقوبي سرجيوس الراسعيني المتوفى سنة ٥٣٦

فزادت شهرتها واتسعت حتى خُدع بها الكاثوليك انفسهم واقبلوا على درسها ونسبوا ما فيها من الاقوال الشاذّة لتدليس المبتدعين لكنَّ جوهرها اثبتوه للقديس ديونيسيوس. ومنهم القديس مكسيموس الشهيد الذي شرح تلك التآليف. اما اليوم فانَّ اهل الانتقاد اتّفقوا على انها مصنوعة لاسيما الاب يوسف ستغلماير (J. Stiglmayr) اليسوعي الذي اثبت بالحجج الراهنة والبيّنات الواضحة انَّ تلك الاعمال وهي عبارة عن مقالات ورسائل لاهوتيّة انّما وُضعت في اوائل القرن السادس ونُسبت زورًا الى القديس ديونيسيوس الاريوباغي المذكور في سفر اعمال الرسل. والكتبة لم يتّفقوا حتى الآن في تحديد هذه التآليف وعددها ونصوصها الاصليّة التي وضعها المدلّسون

وفي جملة تلك الرسائل المصنوعة الرسالة السابعة التي يقال انَّ ديونيسيوس وجّهها الى القديس بوليكربوس اسقف ازمير (١ وفيها يذكر ما جرى من الظواهر عند موت المسيح وكيف لحظ كلاهما اذ كانا في هليوبوليس انكساف الشمس بتوسّط القمر بينها وبين الارض وذلك على طريقة مخالفة لنواميس الطبيعة المألوفة وفي غير وقت القران ويحضّ ديونيسيوسُ القديسَ بوليكربوس على ان يستند الى هذه المعجزة الباهرة ليفحم ابولوفانيس الفيلسوف الوثني وغيرهُ من المشركين الناكرين لحقيقة النصرانيّة

هذا ما رُوي في مجموع اعمال القديس ديونيسيوس السابقة للقرن التاسع. وفي اوائل هذا القرن ظهر في باريس راهب اسمهُ هيلدوين (Hilduin) أُقيم رئيسًا على دير القديس ديونيسيوس في ضواحي عاصمة فرنسة فزعم انَّ ديرهُ يُنسب للقديس ديونيسيوس الاريوباغيّ وانَّ تلميذ بولس الرسول قدم باريس وبشّر فيها بالايمان ومات شهيدًا بقطع رأسه. وخلط بين ديونيسيوس المذكور وديونيسيوس آخر كان يكرمهُ اهل باريس منذ زمن قديم استشهد مع رفيقيه القديسين الوثاريوس وروستيقيوس. ثمَّ جمل الراهب هيلدوين بدرس الاعمال اليونانيّة المنسوبة لديونيسيوس الاريوباغي ويدافع عن صحّتها وينقلها الى اللاتينيّة تعظيمًا لشأن ديره. فشاعت على هذه الطريقة في اوربّة اعمال القديس ديونيسيوس المزعومة كما انتشرت رواية استشهاد الاريوباغيّ في باريس. واعجب من ذلك انَّ اليونان

(١ اطلب اعمال آباء اليونان لمين (Migne, PP. GG. III, 1077-1083)

الذين كانوا قبل ذلك يجعلون ديونيسيوس كأوَّل اساقفة اثينة و يروون وفاتهُ فيها ابدلوا تقليدهم الصحيح برواية هلدوين الكاذبة واشاعوا هذه القصَّة في كتاباتهم واخذهم ميتافرست صاحب تراجم القديسين في القرن العاشر

ومن الاقاصيص الغريبة التي اثبتها هلدوين في مروياتهِ عن القديس ديونيسيوس الاريوباغي رسالة عنوانها « من ديونيسيوس الاريوباغي الى ابولوفانيس الفيلسوف » (Migne, PP. GG., III, 1119) بعد تنصُّرهِ يذكرهُ بعدَّة اشياء من جملتها كسوف الشمس الذي رآهُ كلاهما اذكانا في هيليوبوليس ولديونيسيوس من العمر وقتئذٍ نحو ٢٥ سنة . فهذه الرسالة باللغة اللاتينيَّة رواها هلدوين ولم يعرف اصحاب النقد من اين نقلها . واليوم قد تعدَّدت الدلائل على انَّ هلدوين هو نفسهُ اختلق هذه الرسالة لكنهُ اخذ معانيها من رواية يونانيَّة اشاعها بعض المدلسين على لسان ديونيسيوس الاريوباغي يذكر فيها قصَّتهُ واخبار تنصُّرهِ . وتلك الرواية المصنوعة قد اخذتها يدُ الضياع في اصلها اليوناني لكنها نُقلت الى لغات أُخرى كما سترى

وفي خزانة المخطوطات السريانيَّة في لندن نسخة خطيَّة موسومة بالعدد ١٢١٥٠١ تحتوي ترجمة اعمال القديس الاريوباغي تاريخ خطّها سنة ٨٠٤ للميلاد وروايتها منسوبة الى احد كتبة اليعاقبة في القرن الثامن يدعى فوقاس الرهاوي . الَّا انَّ الناسخ ألحق برواية فوقاس في الصفحة ١٧٣ خبر الرؤيا التي عاينها ديونيسيوس عند وفاة المخلّص في هليوبوليس مدينة مصر (Cat. de Wright,. 496) وكذلك ورد هذا الخبر في نسخة أُخرى سريانيَّة من المتحف البريطاني تحت العدد ١٤٦٤٥ (Wright, p. 1112) فيقال انَّ رؤيا ديونيسيوس جرت في مصر (ܐܠܝܘܦܘܠܝܣ ܗܝ ܕܒܡܨܪܝܢ .

فانَّ الناسخ باثباتهِ لهذا اللحق بعد المرويَّات عن فوقاس الرهاوي قد اشار الى انَّ هذا الكاتب لم يعرفها في القرن الثامن كما انَّ القديس مكسيموس الشهيد شارح ديونيسيوس الاريوباغي لم يلمّح اليها مطلقًا في القرن السابع ولا ريب في انهُ يوجد علاقة ظاهرة بين هذه الرواية السريانيــة التي لم تُنشر بالطبع حتى الآن وبين روايتين أُخريين سنذكرهما آنفًا كما يتَّضح من عنوانها ومن مطلعها واوَّلها هكذا: « ܐܢܐ ܐܘ ܝܘܚܢܢ ܬܠܡܝܕܐ ܕܡܫܝܚܐ. ܡܢ ܚܟܡܬܐ ܕܐܠܗܐ ܐܬܕܪܫܬ ܕܐܘܣܦ ܕܝܢܐ ܕܐܪܝܘܦܓܝܛܐ ܕܝܘܢܝܐ » اي « انا يا يحيى تعلم الحكمة

الذي نُذرتُ لأكون منذ احشاء امّي قرباناً لرئيس الشياطين »

ثم ظهرت سنة ١٩٠٠ ترجمة ثانية من قصّة ديونيسيوس الاريوباغي في اللغة القبطية نشرها مستشرق روسيّ يُدعى اوسكار فون لام (١ في نشرة المكتب العلميّ في بطرسبرج باللغة القبطيّة . وهذه الرواية كالقصّة (السريانية) على شبه ميمر ينطق به ديونيسيوس ويخبر بتنصّره بعد ما شاهدهُ من المعجزات عند موت المخلّص . وقد اتقن العلّامة فون لام طبع هذه الاثر القبطيّ واختمهُ بملحوظات عديدة وانتقادات شتّى يشكرهُ عليها كلّ محبّي اللغة القبطيّة والآثار البيعيّة . وان قابلتها بالرواية السريانيّة المار ذكرها وجدتها هي هي لا تخالفها سوى في بعض اعراضها . وممّا يجدر بالنظر ان ديونيسيوس في هذه الرواية القبطيّة يجعل رؤياهُ ليس في هيليوبوليس مدينة مصر لكن في مدينة يدعوها ⲡⲉⲗⲡⲁϩ (بعلباخ) فلم يكتشف المسيو فون لام سرّ هذا المسمّى وما هو حقيقةً سوى رواية قبطيّة لاسم بعلبكّ فانّهُ وجد في اليونانيّة هليوبوليس فعدل عن مدينة عين شمس في مصر المدعوّة هليوبوليس وفكّر في مدينة بعلبكّ الشاميّة التي تُعرف بالاسم عينهِ في اليونانيّة

وفي هذه الرواية القبطيّة ذاتها دليل على بدعة اليعاقبة الذين كما سبق لنا القول اصطنعوا اعمال القديس ديونيسيوس . فانّ في جملة الكلام المنسوب الى ديونيسيوس يقول الراوي انّ تلك المعجزات ولاسيّما كسوف الشمس انّما جرت « لسبب الاله الذي صُلب (٢ » ⲛ̄ⲧⲁⲣϣⲱⲡⲉ ⲉⲧⲃⲉ ⲡⲛⲟⲩⲧⲉ ⲛⲧⲁⲩⲥⲧⲁⲩⲣⲟⲩ ⲙ̄ⲙⲟϥ وهذه العبارة كما لا يخفى هي شعار البدعة المنوفيزيّة ومذهب القائلين بتألُّم اللاهوت (Théopaschites) كبطرس القصّار كنسيوس والرهبان المدعوّين بالاستوتيين الذين اثاروا في الكنيسة برأيهم الكاذب وذلك في نفس الزمان الذي ظهرت فيه اعمال القديس ديونيسيوس الموهومة

وبينما نحن نقلّب مخطوطات المكتبة الشرقيّة في كليّة القديس يوسف في بيروت وقفنا على كتاب عددهُ ١١٢ وهو يحتوي على سير بعض القديسين المخطوطة بالعربيّة

١) الطب Von Lemm, Bulletin de l'Acad. Imp. des Sciences de St-Pétersbourg, sér. V, t. XII (1900) p. 267-306

٢) في التأليف السابق (ص ٢٧٠)

منذ نحو ٢٠٠ سنة منقولةً عن روايات يونانية قديمة ٠ وفي الصفحة ٢٠٨ من هذا المجموع « سيرة ابونا (كذا) ديونيسيوس الاروباجيتوس اسقف اثينا » فتصفحناها واذا فيها ذكر الخبر المرويّ في السريانيَّة والقبطيَّة عن سبب تنصُّر القديس ديونيسيوس ادرجهُ الراوي في سيرتهِ وهو يبتدئ هكذا ($fol.\ 104^v$) :

اعلموا أيها الاخوة المباركين والشعب المختارين انَّ العقل يتوق ويشتاق الى اظهار فضايل الحكماء القديسين وحرص اللسان ان ينطق ببعض (ببعض) مما يكون من فضائلهم فنسأل الرب معطي الحكمة للحكماء ان يرشدنا الى كنف (كشف) بعض فضائل هذا ابي ديونيسيوس القديس وعلمة (؟) فأسمعوا

ثمَّ يردف الكاتب كلامهُ بذكر اوَّل الكون وسيرة البشر الاوَّلين وعاداتهم وصنائعهم ويتوسَّع في ذلك حتى يصل الى سيرة ديونيسيوس . فيقول عن اصلهِ ما حرفهُ : ($fol.\ 108^v$)

ويجب عليَّ ان اهتمَّ بما قصدت ولا اشتغل بكثرة الكلام عمَّا طلبتهُ . وذلك عند ما اهتممت بمعرفة والد هذا الرجل الحسن الحكمة والانذار عنهُ بحكمتهِ وعلومهِ . واني عبرتُ الى اثينا فعرفتُ انهُ رجلًا شريف زائد في الحكمة على اهل زمانهِ وانهُ في ذلك الوقت مدبر ($fol.108^v$) البلد ومقدَّم عند جميع الرؤساء والحكماء واسمهُ كان سقراط

ثمَّ يذكر الراوي انهُ وُلد لسقراط هذا ابن دعاهُ ديونيسيوس وخرَّجهُ بالعلوم كما يليق برجل يُدعى سقراط وانَّ الولد برع في كلّ العلوم حتى تولَّى رئاسة كهنة الاصنام لانهُ كان قد نذر به للآلهة قبل مولدهِ . وبعد هذه الاوصاف ينتقل الراوي الى ذكر تنصُّر ديونيسيوس لكنَّهُ لا يرضى بان يخبر بها هو بنفسهِ بل يطلب من ديونيسيوس ان يرويها هو قائلًا :

وانا الآن اخبر فاقول ($fol.\ 109^r$) ادنو الآن ايها الحكيم وخبّرنا حقيقة امرك وما جرى بعد حصولك في بيوت الاصنام

فيلبّي ديونيسيوس دعوتهُ ويروي ما جرى لهُ على هذه الصورة :

قال القديس الحكيم ديونيسيوس : افهموا ايها السامعين لاصف لكم حسن الحكمة لحبيها . وذلك اني تدرعت في معرفتها زمانًا ما . ولاجل محبتي لها قاومت بها جميع الحكماء . دعتني الحكمة فاجبتها واخا انحدرت مني وفي بعض الاعيان دخل اربوس باغوس الى بيت الالهة ولاجل انهُ هو كان اركون الشياطين دخل الى بيت الالهة ليتفقد البيت وخدمة الكهنة لها . ولمَّا نظر الى اهتمامي وحسن

خدمتي عند ذلك ادعاني وسألني عن اسمي وعن والدي. فاخبرتهُ انني من اثينا ابن سقراط المعروف وانني قد نُذرتُ للالهة. امر كهنة الاصنام بالاهتمام بي وان يعلّوني (يعلموني) جميع صنوف الحكمة. فسلموني الى ديوكراطس رئيس الفلاسفة فاجهد نفسه في تعليمي . وعرفت مدخل الحكمة ومخرجها وعرفت ما في اسفل والعلو معرفةً (fol. 109v) باينة وعرفت مبلغ النجوم والساعات . . . وبلغت ايضاً الى الغاية في سفر الاسطرونوميا وكنت اقرّي باقتدار بين الحكماء وعبرت الحكمة مراتب الفلاسفة

ففي بعض الايام خرج من الاركون ان يُبنى في اثينا بيت كبير للحكيم اريوس باغوس. فلما بني وتم (تمّ) اجتمعوا اهل اثينا ليقربوا ذبايحهم وكان مكتوب على بعض الدككك التي برسم الذبايح «الاله الخفي هو رب الالهة» . فلما دخل اريوس باغوس الى بيت الالهة امر ان يعملوني رئيس القضاة ولمّا تحققوا ذلك اهل اثينا فرحوا بي فرحاً عظيماً . وفي بعض الاوقات اجتمعوا اهل مدينة (fol. 110r) اعني بعلبك واهبطوا الصنم المسمّى سرافيون ودفنوا عنقه فارتجّ البلد بسببه فاشتغلوا على الكاهن الذي رماه وكتبوا الى اثينا بسببه. فلما وقف اريوس باغوس على تلك الامر امر الاركون ان ينفذوني الى مدينة الشمس لافصل ما جرى من امر الصنم. فمضيت مثل ما امرت الى المدينة الشمس فاضطرب البلد لقدومي واجتمعوا كافة البلد وجميع الرؤساء من المدن والقرى المحيطة بها وانهم وردوا لاجل الحكومة وشاهدها (كذا) التي انا مزمع هناك احكمها . ثم اني امرتهم ان يزينوا الاسواق وان يجتمعوا في الغد الى مجلس الحكم. فبكروا كافتهم وانني جلست على الكرسي الذهبي وكافة الروسا والاكابر والكهنة والاراكنة والفلاسفة قيام ولم آمر احد منهم بالجلوس وذلك ليكونوا متيقظين في خدمة الالهة. ثم اني اظهرت احكام الحق بناموس متقوم كما يجب على الحاكم العادل. فلما كانت الساعة (fol. 110v) السادسة والشمس في وسط الدرجة واعين الكل ناظرة اليّ كيف افصل الحكم. وكان ذلك الوقت تألّم السيد المسيح اذ الارض قد تزلزلت كلها بغتة واظلمت الشمس والاصنام كلها تساقطت وتكسرت. واقامت ثلثة ساعات. فلما انكشفت الظلمة سجدوا الكهنة وكافة الروساء وجماعة الحاضرين لديّ وسألوني عمّا حدث في العالم. عند ذلك اخذت سفر الاعداد وجزتُ في طريق الشمس وابواب الضو واشرفت على كافة البروج فلم اجد سبب ذلك التغير . . (fol. 111r) . . . عند ذلك تحيّرت وخنقتني العبرة عن اجد سبب اضطراب الاستقصات. وكانت الاقرن (؟) تكدني وتقلقل فكري فاستغثت (فاستعنت) بالحكمة لتدلني وتوقفني على الحقايق فاجابت وقالت لي : ان هذا السبب الذي تطلبه ايها الحكيم ليس هو في العلو ولا في العمق فاجهد نفسك بطلبه ان كنت حكيم واجتاز في سفر الافلاك فانك تجد حاجتك. عند ذلك امرت تلميذي سقلابيوس ان يحضر في سفر الافلاك وهو الاسطرونوميا واقبلت واعبر الارض (fol. 111v) بين يدي فاذا اني قد رايت رجلًا وهو مصلوبٌ في وسط الارض وهو معلق على خشبةٍ فوق راسه لوح مكتوب فيه خفياً ان هذا الاله الخفي نزل الى الارض سرًّا وظهر من عذراء متجسد وهو خالق كافة البرايا المنظورة والغير منظورة. وصالبيه من افراط جهلهم صلبوه بغير معرفة. فلما نظرت الى ذلك رددت يدي الى ثوبي فشققتهُ. فلما نظروا الكهنة والحكماء الحاظرين مني هكذا الفعل تحيّروا ثم انهم دنوا مني وسالوني بان اعرفهم ما هو هذا الامر العظيم الذي حدث في العالم

مثل هذه الحوادث فاومأت اليهم بيدي ان لا يتكلم احد شيئاً وقلت وانا باهت: انصتوا ايها الحكماء ولا ترتابنَّ افكاركم لان الحق قد ظهر فلم نتعب يا قوم بالباطل الاله الخفي عن العالم قد نزل الى الارض باختياره وتجسد وصلبوه اهل خاصته وهم لا يعلمون لاجل طغيانهم في تانسه ومن (fol. 112ʳ) اجل هذه الجهة اظلم النور واهتزت الارض وتغيرت الاستقصات ثم اني عند ذلك ورخت اليوم والساعة والوقت والشهر والسنة واحتفظت بهِ ليعرف في الدهور الاتية

وبعد ذلك الوقت باربعة عشر سنة ورد الرسول بولس المكرَّم ليكرز في اثينا. لما سمعوا كرازته اختبط البلد وذلك انهُ كان يعلم باقتدار ويخبر بالصليب فاجتمعوا كافة الناس والرؤساء واتوا اليَّ قائلين ان انسان غريب قد ورد الى مدينتنا وهو رجل حسن شبه ولهُ منظر وقد بان لنا من كلامه انهُ من اهل الحكمة والفلسفة وقد ادهش الناس من كلامه ومناداته وانهُ يذكر علم ليس نعرفهُ وهو معجز وذلك انهُ يكرز لنا بالاهٍ مصلوب ويستجذبنا اليهِ والى عبادتهِ ويبعدنا عن الذبايح والقرابين. ولاجل ذلك وردنا نعلمك لكي تدبر بهِ ما يقتضي رايك. فلما عرفوني ذلك امرتهم ان يكثروا المناديين وايجتمعوا الناس كافة وجلست (fol. 112ᵛ) انا في اعلا المراتب على الانبان وامرت الحكماء وجميع الفلاسفة والكهنة واكابر الدولة الجلوس. ثم اني انفذت واستحضرت بولس وامرت بان لا يتكلم احد من الناس. فلما دخل امرتهُ بالكلام وانهُ يظهر كلام كرازته فابتدا هذا المختار بالروح القدس باقتدار وجسارة بلا فزع وبغير جزع وقال: اني اراكم يا اهل اثينا افضل من جميع الامم بعبادة الشياطين وفي بعض اجتيازي على بعض البيوت والدكك رايت مكتوباً «الاله الخفي» وهو الذي اكرز لكم وهو الذي تسجدون لهُ ولا تعلمون وانا اشتهي ان تعرفوه بالحقيقة وهو الذي... صعد على الصليب واحتمل الالام بجسده لخلاص العالم وخاص بني البشر من عبادة الشياطين وبالمه تالمت الاستقصات. اظلمت الشمس وتزلزلت (fol. 113ʳ) الارض وتشققت الصخور وسقطت الاصنام وتكسرت. فلما ذكر الصليب والاستقصات ذكرتُ ما جرى وانا في مدينة الشمس فامرت تلميذي سقلابيوس الذي كان معي في مدينة الشمس بان يحضر لي ذلك التذكار من ذلك الوقت. فلما احضره لي فتحته وقراته لدى كافة الرؤساء وسألت القديس بولس عن الوقت واليوم والشهر والسنة وفي اي برج كانت الشمس وفي كم درجة وكم كان في الهلال فقابلنا فخرج قوله كما كان معي في ذلك التاريخ فتحققت ان المصلوب هو الاله المبدع لكل المخلوقات. فلما سمعت ذلك ما تمالكتُ ذاتي بل اعترفت وامنت بالامانة واعتمدت من يد القديس بولس انا وجميع اهل اثينا وانهُ اضاف اليَّ الكهنوت فشكرت الله الذي اهداني بالحكمة الى معرفت الحق واعطاني ايضاً بالحكمة سلطان الامانة...

فمن اطّلع على هذه الرواية وجد حالاً ما بينها وبين النصّين (السريانيّ) والقبطيّ من التشابه وجزم ايضاً بأنَّها مثلهما منقولة عن اصل يونانيّ لوفرة الفاظها المعرَّبة من اليونانيَّة. امَّا تاريخ ذلك الاصل اليونانيّ المفقود فقد قلنا انَّهُ متأخر عن زمن القديس مكسيموس الشهيد وعن فوقاس الرهاوي اعني بعد القرن السابع واواسط الثامن

لكنَّهُ سبق الربع الاوَّل من القرن التاسع لوجود ترجمة سريانيَّة منهُ تاريخها ٨٠٤

ولعلَّ سائلًا يسألنا الآن وهل يوجد علاقة بين رسالة الراهب هلدوين المرسلة الى ابولوفانس والرواية اليونانيَّة التي عنها صدرت الروايات المذكورة في (السريانيَّة والقبطيَّة والعربيَّة ؟ الجواب على ذلك انَّ العلاقة بينهما واضحة لكنَّنا نرتأي (اوَّلًا) مع معظم الكتبة حتى المدافعين عن صحَّة اعمال ديونيسيوس بانَّ هذه الرسالة زور ليست صحيحة. ونرى (ثانيًا) مع بعض ارباب الانتقاد الذي ينكرون صحَّة تآليف ديونيسيوس الاريوپاغي بانَّ مصطنع هذه الرسالة هو غير المزوّر لبقيَّة اعمال ديونيسيوس. ونرى (ثالثًا) انَّ الرسالة الى ابولوفانيس ليست منقولة من اصل يونانيّ ضائع (١ لما يوجد من التوافق بين احدى عبارات هذه الرسالة وشروح القديس مكسيوس على اعمال ديونيسيوس اعني تاريخ حياة القديس ديونيسيوس المذكورة في الرسالة الى ابولوفانس وفي الشروح المذكورة فانَّ كليهما يقول انَّ ديونيسيوس لمَّا عاين كسوف الشمس العجيب عند وفاة المخلّص كان عمرهُ نحو خمس وعشرين سنة (٢ الَّا انَّ هذا ليس بكافٍ لأن نجزم بانَّ القديس مكسيوس عرف رسالة ديونيسيوس الى ابولوفانيس اذ لو عرفها لأشار في رسالته الى پوليكرپوس الى ما فيها من التفاصيل عن الظواهر التي حدثت في موت المسيح. هذا فضلًا عن ادلَّة أُخرى نضرب عنها صفحًا لما تحتاج من الايضاحات المسهبة

وعندنا انَّ الرسالة التي رواها الراهب هلدوين عن لسان ديونيسيوس الى الفيلسوف ابوفالونيس بعد تنصُّرهِ ليست فقط مختلقة بل هي من تصنيف هلدوين نفسهِ وذلك للاسباب الآتية: (اوَّلًا) لانَّ هلدوين كاتب لا يُوثق بهِ وقد روى غير ذلك من النصوص التي يتَّفق علماء زماننا في نبذها ونسبتها لهُ. (ثانيًا) لأن هذه الرسالة لم يعرفها احد قبلهُ من الكتبة المتعددين الذين اهتمُّوا منذ القرن السادس الى

---

١) اطلب مجموع الآباء اليونان لمين Balth. Corderius s. j. ap. Migne, PP. GG. III, 1121-1122 note 64

٢) هكذا ورد النصّ في شروح القديس مكسيموس Maximi Scholia, Migne, PP. GG. IV, 573: Ὑποθώμεθα (var. ὑποθῶμεν) δὲ τὸν θεῖον Διονύσιον ὅτε τὰ ἐπὶ τῷ σταυρῷ τοῦ Κυρίου εἶδεν εἶναι κε' ἐτῶν, ὅτε οἶμαι ἔτι ἀναγινώσκοντα

التاسع بدرس اعمال ديونيسيوس. ولم يشيروا اليها البتّة. (ثالثًا) لأنَّ في هذه الرسالة عدَّة اشارات الى الرواية اليونانيَّة التي منها نُقل خبر رؤيا ديونيسيوس وبقيت آثارها في الروايات الثلث (السريانيَّة) والقبطيَّة والعربيَّة التي وصفناها فلا غرو انَّ هلدوين أَطلع على تفاصيل هذه الرؤيا وجمع بينها وبين الرسالة الى بوليكربوس المنسوبة الى القديس ديونيسيوس فاصطنع منها الرسالة التي زعم انَّها وجِّهت الى ابولوفانس. وممَّا يحق لهُ النظر انهُ ذُكر في الروايتين العربيَّة والقبطيَّة المنقولتين عن اليونانيَّة انَّ ديونيسيوس دوَّن بالكتابة ما لحظهُ عن كسوف الشمس وان سبب تنصّره انَّما كان ما وجده من الموافقة بين ملحوظاته عن الشمس وما سمعهُ من بولس عن موت المسيح وقيامته. وهذه الرواية منقولة بصورتها في ترجمة حياة ديونيسيوس التي انَّها هلدوين في اللاتينيَّة (١ فهذا التوافق في الرواية وغير ذلك من الادلَّة التي لا يسعنا هنا تفصيلها ترجح قولنا بانَّ واضع تلك الرسالة هو هلدوين ليس غيره لانَّ مثل هذا التوافق في الرواية يدلُّ على نقل احد النقلة. وليس لدينا حجَّة لنسبة هذا العمل الى مدلس آخر سبق هلدوين سواء كان يونانيًا او لاتينيًا فوضع هذه الرسالة الى ابولوفانيس. ولو وجدت نسخة شرقيَّة تروي تاريخ حياة ديونيسيوس اي سنَّ ٢٥ سنة يوم رصدهِ للشمس في هيليوبوليس لأضحى الامر راهنًا لا ريب فيهِ البتَّة (٢

---

١) اطلب مجموع اعمال الآباء اللاتين : Migne, PP. LL. CVI, 36 (Hilduinus : Vita S. Dionysii) : Cum diem annumque annotassem et tempus illud cum eo quod Paulus annuntiaverat signis conclamantibus, concordare sensissem, tum et veritati manus dedi et me falsitatis nexibus expedivi فترى انَّ هذا الكلام انَّما هو تفصيل مسهب لما ورد في الرسالة الى بوليكربوس. واعلم انَّ السنكسار الارمنيَّ الذي نقل هذه الرواية عن اصل يونانيّ لا يذكر كما في الروايات الاخر انَّ ديونيسيوس دوَّن رصده لكسوف الشمس ووضعهُ في سجلات اثينا وهناك يقال فقط انَّ اهل اثينا اقاموا لسبب هذه الحوادث هيكلًا للاله المجهول الذي ذكرهُ القديس بولس في خطابهِ لهم ا Սան ալտարին կանգնեցին բագին մի ԱՆԾԱՆՕԹԻ. եւ գրեցին ի վերայ ԹԷ՝ անծանօթին Աստուծոյ է բագինս (Haismavourkh, ed. 2ᵉ, 1730, p. 104; cf. p. 99)

٢) وقد علمنا بالمسرَّة انَّ احد المستشرقين العلَّامة كوغنر (M. - A Kugener) سينشر

فترى انَّ الترجمة العربيَّة افادتنا لتزييف بعض مرويَّات هلدوين. الَّا انَّ في القسم الثاني من هذه الترجمة. تفاصيل عن حياة القديس ديونيسيوس ورحلتهِ الى فرنسة واستشهادهِ على عهد دومطيانوس القيصر الرومانيّ مـا اخترعهُ هلدوين ثمَّ شاع في الشرق بعد شيوعهِ في الغرب ونقلهُ الشرقيُّون دون تروٍّ . وبين هـذه التفاصيل انَّ القديس ديونيسيوس وصل الى «مدينة باريسية» (fol. 119ᵛ) وانَّ الحاكم قضى عليهِ بقطع الرأس مع رفيقيهِ الوثاريوس وروستيقيوس فلمَّا قطع السيف هامتهُ حمل القديس تلك الهامة بين يديهِ وسار بها الى بيت امرأة تدعى قاطولة (fol. 119ᵛ) التي اسرعت لدفن الشهداء. قال:

ووضعت قاطولة السيدة اجسام الشهداء في بيت من البيوت لطيفًا لثلثة ايَّام سانت . تشرين الثاني ولم تزل العجائب حسنها ولدتها (كذا) تفيض من اجسام الشهداء بمنزلة عين من العيون الجارية فنسأل ربَّنا والاهنا الخ (fol. 120)

فكلّ هذه التفاصيل الاخيرة هي من اختراع هلدوين الراهب في القرن التاسع امتدَّت من الغرب الى الشرق حتى بلغت ناقل هذه الترجمة العربيَّة . وقد جرت بين العلماء في ذلك مجادلات عنيفة فكانوا بين مصدّق ومكذّب حتَّى قام الاب اليسوعي كورنيليوس دي بي (de Bie) من جماعة البولنديين (Acta Sanctor., Octobr. t. IV. p.753 - 767) فاثبت بالبراهين اللامعة انَّ هذا التقليد عن استشهاد القديس ديونيسيوس الاريوباغي في باريس لا صحَّة لهُ وانَّ الشواهد القديمة للكتبة اليونانيَّة تبيّن وفاة القديس في اثينة وهو اسقف عليها فكان حكمهُ فصلاً وبهِ بطلت تلك الاقاصيص التي اختلقها هلدوين . ويوافق تقليد الكنائس الشرقيَّة تقليد الكنيسة اليونانيَّة . وفي فكرنا ان نجمع قريباً تلك الروايات فتزيد الامر ايضاحاً

عمَّا قليل في مجلة الشرق المسيحي ترجمتين سريانيَّتين للقديس ديونيسيوس مرويَّتين عن لسانهِ
cf. F. Cumont. Comptes rendus de l'Ac. des. Inscript. et Belles Lettres

الدين والدنيا في عام ١٩٠٨

نظر اجمالي للاب لويس رتزفال اليسوعي (تابع لما سبق)

٢ العالميات في عام ١٩٠٨

كما امتازت سنة ١٩٠٨ بأحداثها الدينية كذلك اصابت في عالم السياسة مقاماً خاصاً وما لا يختلف فيه اثنان انَّ العام المنصرم كان مبدأ طور جديد في سياسة الدول. فحيثما ألقينا النظر وجدنا الامم الكبرى في غليان وحركة وكأن بزعمائها يطلبون لشعوبهم حرزاً ويخطّطون مجازاً يسلكون فيه فتارةً يشيرون الى الحرب وتارة نستروح من كلامهم رائحة السلم رحيناً يصرفون الهمّة الى المعاهدات الدولية. فماذا يكون من هذا القيل والقال فالله اعلم به لانَّ لهُ وحدهُ عزَّ وجل التدبير وليس للانسان سوى الحدس والتفكير. امَّا نحن فلا يسعنا سوى تدوين اهمّ الاحداث التي جرت في العام الماضي

وما قال عن السنة ١٩٠٨ اجمالاً انها افتُتحت على طالع مشؤوم فان الازمة المالية في اميركة كانت ضربت اسواق العالم العظمى ضربةً اليمة. وانَّما نكايتها في القطر المصري كانت اشدّ واوجع حتى انَّ حالة مصر المالية الى الآن لم تزل في حيص بيص وارتباك. امَّا اميركة فانَّ القوانين الصارمة التي وضعها الرئيس روزفلت صدّاً للاحتكارات والمضاربات المالية اعادت للمعاملات التجاريَّة بعض الثبات والثقة

وكذلك بلاد اليابان كان ينوءُ عاتقها تحت ثقل ازمة اقتصاديَّة بالغة رغمي مع ذلك لا تعلم كيف تنتهي مسألة المهاجرين من ابنائها الى اميركة. الَّا انَّ هذه الاربة قد حُلَّت على طريقة لم تكن في الحسبان كما سترى. امَّا الازمة المالية فتلافتها الدولة اليابانيَّة اذ باشرت بعدَّة مشروعات من شأنها ان تأخذ بناصر الاقتصاد الوطني وتمنع دهمةً ثانية وقوع النكبة التي أُصيبت بها في اثر حربها مع روسيَّا. واخصُّ هذه التدابير التي استعانت بها تَعطيلها لبرنامج حربها بانقاص التسليحات. وبفعلها هذا قد قدَّمت لارباب الامر مثالاً محموداً وقدوةً صالحة يتمنَّى العقلاء لو انتست به الدول الاوربيَّة. وقد فعلت انكلترَّة فعلها بخفضها لمبالغ ميزانيتها منذ ثلاث سنوات حتى بلغ اقتصادها في

هذه المدّة مليارًا من الفرنكات ومع هذا فانّ مجلس الأمّة لا يشاء البتة ان تفقد انكلترّة سيطرتها على البحار

وهنا امرٌ آخر يجدر بنا ذكرهُ في مقدّمة كلامنا عن وقائع السنة ١٩٠٨ وذلك هو العلاقة بين ثروة الدول وسياستها. فهذه دولة اليابان فانّها في اوائل السنة ١٩٠٨ كانت تبرق وترعد والكلّ ينتظرون نزولها في ساحة الوغى لمحاربة الولايات المتحدة. فما مرَّ عليها اشهر حتى خمدت جمرتها وسكنت ثورتها وتصافحت الدولتان وتعاهدتا. والسياسيّون مجمعون على انّ اليابان لم تعمد الى هذا التغيير الّا خوفًا من تهوّرها في ورطة تبيد ماليّتها وتمحقها. والدليل على ذلك ما باشرته من الاصلاحات في تعديل ميزانيّتها

وكذا يقال عن المانية. فانّ امبراطورها غليوم الثاني في مطاوي السنة المنصرمة ازعج العالم بخطبه الحماسيّة التي كان يُشتمّ منها رائحة البارود ولعلّهُ لم يكن ليكتفيَ بالقول بل زحف بجيوشهِ لمحاربة الفرنسويين لولا علمهُ بثروة فرنسة التي تفوق على ماليّة الالمان

ولكن دعنا الآن من هذه الاعتبارات وهيّا بنا نلخّص المجريات السياسيّة في السنة المنقضية

ترجع احوال السياسة في السنة ١٩٠٨ الى ثلاثة امور شغلت الدول دون سواها. الاوّل أحداث مرّاكش والثاني انقلاب الهيئة الحاكمة في تركيا. والثالث خصام اليابان مع اميركة ومع الصين. ونحن نباشر بهذا الامر الاخير لننتهي من ذكر الشرق الاقصى

١ ﴿ اختلاف اليابان مع اميركة والصين ﴾ انّ معاداة اميركة لليابنيين ظهرت منذ بضع سنين فانّ الولايات المتحدة ولاسيما اهل جزائر هوايي والفليبين وسواحل الاوقيانوس الهادئ وسان فرنسيسكو كانوا يشكون المزاحمة اليابانيّة في بلادهم وينسبونهم الى الترفّع والعتوّ اذ يطلبون المساواة بالحقوق مع الوطنيين في كلّ الدوائر العموميّة والامتيازات الاهليّة من تجارة وبحريّة وتهذيب رسميّ في المدارس ومن ثمّ كان الاميركيّون يلحّون على ارباب الامر بان يسنّوا قانونًا ينفي المهاجرين اليابانيين من تلك الامتيازات. فجرى في ذلك بين الدولتين عدّة مفاوضات كانت تزيد حدّةً يومًا بعد آخر حتى توقّع الناس انتشاب الحرب لاسيّما بعد ان اخذ الاسطول الاميركيّ في وجهة الاوقيانوس الهادئ. وكان الرئيس روزفلت أشعر بنيّتهِ العدائيّة منذ شهر تشرين

الاوَّل من السنة ١٩٠٧ حيث قال: «لا تنتصر امَّةٌ الَّا اذا ضربت ضربةً قويَّة ولا نستطيع ان نضرب الَّا بحريَّتنا». فلما سار الاسطول الاميركي قاصدًا الاوقيانوس الهادئ في نيسان اجمع السياسيُّون على انَّ الحرب لا مناصَ منها

وليس هنا المقام لتفصيل اخبار تلك الرحلة وسير الاسطول الاميركي. والامر المقرَّر انَّ اليابان بعد التهديد والوعيد اخذت تلطِّف كلامها بل ابدلتهُ تمامًا حتى جعلتهُ ولائيًّا ولمَّا وصل الاسطول الاميركيّ الى سواحل اليابان لم تُطلق المدافع الَّا للمظاهرات الحُبيَّة. وكانت اليابان هي المتقدِّمة في طريق التساهل والتوادّ والظنون انَّها لم تفعل ذلك الَّا صونًا لماليتها وتثبيتًا للاصلاحات الاقتصاديَّة التي قرَّرتها. ولعلَّها غيَّرت خطَّتها ايضًا لما حدث بينها وبين الصين من النزاع. وعلى كلّ حال انَّ اليابانيين لم يدَّخروا وسعًا في حسن استقبال السُّفن الاميركيَّة حتى غلب على ظنّ الدوائر السياسيَّة بأنَّهُ عُقدت معاهدة بين الدولتين. فلما وصل الاسطول الى مرسى يوكوهاما في ٥ تشرين الاوَّل رحَّب اهل اليابان بالاميركيّين وزيَّنوا المدينة لاكرامهم بالانوار وقت الاستعمار وانزلوا الاميرال سباريّ وعمدة ضبَّاطه في بلاط شيبا الامبراطوريّ واقلُّوهم في العجلات الملكيَّة وتشدَّدوا على كلّ من ينطق في حقّ الاجانب بكلمة سوء. كما انَّهم اسرعوا ترضيةً لخواطر الاميركيين في ان يعدلوا بالمهاجرين عن السير الى الولايات المتحدة بل الى جزائر هواين نفسها. واليوم قد هبط عدد المهاجرين الى اميركة بنسبة اربعة اخماسه في السنين الماضية رغمًا عن ازدياد المواليد في اليابان الى نصف مليون في السنة

امَّا النزاع بين اليابان والصين فلم ينتهِ حتى الآن. وكان سببهُ ضبط الصينيّين في ٥ شباط ١٩٠٨ لباخرة يابانيَّة تدعى تاتسو مارو وجدوا فيها اسلحةً مهرَّبة. فاحتدم اليابانيون غيظًا وارسلوا اسطولًا مركبًا من ستّ دوارع لبطالب بالسفينة المستصفاة فدخل مرسى آموي في ٢٥ آذار وارسل الى ذوي الامر البلاغ الاخير فاضطرَّ الصينيُّون بردّ السفينة لكنَّهم ادركوا ثأرهم من اعدائهم بمصادرة بضائعهم ونهبوا مخازن الصينيين المحتوية على سلع يابانيَّة ومذ ذاك الحين قد جاهر اهل الصين على رؤوس الملا بمبدإهم الوطنيّ « الصين للصينيين ». والحال بين الدولتين لا تزال حرجةً وقد كثرت بينهما الحوادث المكدِّرة والدعاوى الاختلافيَّة في ثغور البلاد في منشورية وكورية.

وقد زاد تحمّس الصينيين منذ بشّر ولاة الصين باعلان دستور نظاميّ للاهلين وذلك بعد وفاة ابن السماء الامبراطور كوانغ سي الذي ولد في ٢ آب من السنة ١٨٧٢ وكان يتولّى الملك منذ السنة ١٨٨٩ الّا انّ الضابطة لمنان الامر كانت خالتهُ الامبراطورة تسوهي التي كان مولدها سنة ١٨٣٤ وقد وقعت وفاتها يوم وفاة الامبراطور. امّا الملك الجديد فهو ولد عمرهُ سبع سنوات فقط. ولا بدع انّ ذلك ممّا يزيد الامور خطرًا وارتباكًا مع كثرة الاحزاب السياسيّة في الصين

دَعْنا نعود الى اوربّة على طريق الهند فنلتحق الى ما جرى هناك. يظهر انّ الهنود يستثقلون النير البريطانيّ فيحاولون خلعهُ عن رقابهم وقد استنجدوا لهذه الغاية بالافغان ففي ٥ من شهر أيار حصلت مناوشات بين الجنود الانكليزيّة والجيش الافغانيّ الذي جاء لمناصرة المتمرّدين. وقد دحر الانكليز عسكر الافغان لكنّهم اصيبوا بخسائر تُذكر. وممّا يدلّ على انحلال عقال الفتن في الهند قتل الاهلين في كلكوتا نائب الحاكم في اقليم بنغال السير اندرو فرازر في ٧ تشرين الثاني. وقد افادت أنباء أخرى انّ الفتن تمتدّ في جهات غيرها. وكذلك حصلت في بمباي اعتصابات اقلقت الحكومة في اواسط تموز. وزد على هذه النكبات فيضانًا كبيرًا اودى بحياة خمسين الفًا من البشر جرى هناك في غرّة تشرين الاوّل

٢ ﴿ حوادث مرّاكش ﴾ بدت الحرب المرّاكشيّة ضئيلة وكان البعض يرتأون انّ البعثة الفرنسويّة هناك لا تتجاوز مظاهرة عسكريّة فتتمّ بعد اسابيع قليلة. لكنّ الامر لم يزل يتفاقم حتى قامت الحرب على ساق. وكان افتتاح القتال في ١٤ كانون الاوّل سنة ١٩٠٧ وفي ١٥ منهُ جرت واقعة في عين صنا فجُرح ١٣ جنديًّا فرنسويًّا. وفي ٢٢ ثار اهل فاس ونهبوا المخازن. وفي ٢٧ اقامت الحكومة الفرنسويّة لقيادة الجيش الجنرال داماد (d'Amade) بدلًا من الجنرال درود (Drude) ابن احد اللبنانيين نزيل مرّاكش كان ابوهُ تركهُ صغيرًا في تلك البلاد فربّتهُ راهبات المحبّة وتجنّس بالجنسيّة الفرنسويّة. وفي ١١ كانون الثاني عُزل السلطان عبد العزيز واقيم عوضًا عنهُ اخوهُ مولاي حفيد. فتحضّر السلطان الجديد لمحاربة الفرنسويين ونادى بالجهاد في ١٦ منهُ واعلن بسلطتهِ في مكانس بعد يومين

ومذ ذاك الحين تعددت الوقائع الحربيّة بين مولاي حفيد والفرنسويين فجرت

في شباط اربع معارك خسر فيها الفرنسويون نحو خمسين من القتلى وجُرح نحو المئة . وحدث في اثنائه انفجاران على سفينتين راسيتين في طنجة ومزاغان وهما جان درك ودَيكَرْت جُرح بهما عشرون جنديًّا . وكذلك تراكمت الثلوج على فرقة الضابط ايتران (Etrang) وساورتها الانواء ففقدت ٣٤ من رجالها

وكان الجنرال داماد في اثناء ذلك قد استولى على ستّات وتأهّب لوقائع جديدة . فأستأنف العدوّ في ٢٩ اذار القتال الذي انجلى عن ٩ قتلى و ١٢ جريحًا . وفي ١٦ نيسان باغت مولاي حسّان الفرنسويين في مَحلّة فقتل منهم ٢٨ وجرح مئة . وكانت آخر وقيعة في ١٣ أيار في ابي ذنيب قُتل فيها ١٣ فرنسويا منهم ٣ ضبّاط وجُرح ٦٣ نفرًا وفي اثر ذلك هدأت الاحوال نوعًا

وكان مولاي حفيظ قد اكتسب شهرة في اعين قومه لقيامه بازاء الفرنسويين فزاد نفوذهُ وعظم شأنهُ . وفي ٩ من حزيران دخل بأبّهة ورونق فاس مدينة مرّاكش المقدّسة . وفي ١٤ منهُ أُعلن به رسميًّا كسلطان في القصر . وما لبث ان اوفد نوّابًا من قبلهِ الى الدول الاوربيّة ليستطلع طلعها الّا انّ فرنسة لم تقبل الوفد المرّاكشي بخلاف المانية

ومذ ذاك الحين دخلت المسألة المرّاكشيّة في طور جديد فانّ المانية التي كانت صادقت على معاهدة الجزيرة واقرّت بحقوق فرنسة في تقويم الميَل واصلاح الخلَل عدلت عن خطّتها ورأت في نهضة مولاي حفيظ عقبةً كؤودًا في طريق فرنسة عدوّتها فجعلت تعضدهُ وتشدّد ازرهُ حتى بلغ الامر بغليوم الثاني أن يطلب من الفرنسويين أن يعدلوا عن السلطان الشرعيّ عبد العزيز ويعترفوا لاخيهِ بالولاية . فاخذ العجب كثيرين من مندوبي المجلس الفرنسويّ وجاهروا بمناهضة تلك الدسائس في جلسة ١٨ حزيران الّا انّ العدد الاعظم بينهم فضّلوا مجاملة امبراطور المانية بل لاموا في ٣ تموز الجنرال داماد لاستيلائهِ على ازمنور وبقيت فرنسة مع هذا موالية لعبد العزيز

وفي غضون ذلك تغيّرت الاحوال السياسيّة في تركيا فشُغلت بها الخواطر عن المسألة المرّاكشيّة التي خمدت مدّةً حتى أجج نارها الامبراطور الالماني بخطبهِ التي اذهلت اهل بلاده انفسهم . وعاد الاخوان عبد العزيز ومولاي حفيظ الى حربهما فدارت رحاها على عبد العزيز في ٢١ منهُ فولّى هاربًا . امّا مولاي حفيظ فدخل طنجة

وأعلن بسلطته فيها وفي ٢٣ منهُ انبأ بها الدول الاوربيَّة . ولمَّا كانت اواخر ايلول الحّت المانية على فرنسة بان تعترف لمولاي حفيظ بالسلطنة لأن ولايتهُ كما زعمت ضروريَّة لاستتباب السلام

وكان الامر على وشك النجاز اذ وردت اخبار من البيضاء بان الشُّرط الفرنسويين اوقفوا مبعوثاً المانياً كان يسعى بتهريب جند الفرقة الاجنبيَّة ولاسيَّما الالمان منهم . فاستاء الفرنسويون من هذا العمل اي استياء وحبسوا الآبقين ولمَّا طلبت المانية بان يُفرَج عنهم أبت فرنسة ذلك كما انها لم ترضَ بان تبسط لها العذر عن فعلها بل أثابت الجنرال داماد على حُسن تدبيره ورقَّتهُ الى رتبة فريق . فتوتَّرت الاحوال وزادت حرجاً حتى خيف ان تنتشب الحرب بين الدولتين في اوائل الخريف . وطالت المفاوضات بين وزير الخارجيَّة في فرنسة المسيو پيشون وسفير المانية في باريس المسيو رادولين حتى رضيت المانية على بغتة بان تُعرض المسألة على موتمر التحكيم في لاهاي (١ فللحال سكنت تلك الحركة الغريبة واصبح الناس في انتظار عقد المؤتمر

وإن سألت ما الذي حمل بعاهل المانية الى استبدال خطته وطلبه التحكيم بعد تورده عنهُ أجبنا انَّ اهل المانية تضايقوا من سلوك الامبراطور وتقلبه في المسألة المراكشيَّة حتى لم يعودوا يوافقونهُ وكبير وزرائهِ الكنت دي بولوف على عملها لاسيَّما انَّ اخبار الحرب التي كانت تتناقلها الجرائد كانت تؤثر اسوأ تأثير في ماليَّة المانية . فاخذوا يسلقون الامبراطور بالسنة حداد في الصحافة وفي دار الندوة حتى انَّهم طلبوا بان اعلان الحرب لا يُفوَّض به الامبراطور وحدهُ بل يُجعَل من امتيازات مجلس العموم وكذلك رغبوا الى الامبراطور بان يكون كنشليارهُ لسان الدولة بأجمعها وليس كاتباً مجرَّداً لاسرار الملك وممثلهُ هو فقط

وكان لالمانية دواعٍ أُخر تحدو بها الى الحيادة عن الحرب فلا تتهوَّر بها دون تروٍ وذلك انَّ اوربَّة دخلت في طور سياسيٍ جديد جعلها منفردةً عن بقيَّة الدول لا يعضدها سوى النمسة شقيقتها في لغتها الالمانيَّة

---

١) انَّ مجلس التحكيم الدولي الذي انتهى في العام المنصرم دام ١٢٧ يوماً وقد افادت احدى الجرائد انَّ نفقات ذلك المؤتمر بلغت ١٥ مليوناً من الفرنكات منها ٥ ملايين في حقّ التلغرافات المتبادلة . فيا لله ما اعظم هذه المبالغ بالنسبة الى قلَّة ما نتج عن ذلك الاجتماع من الفوائد !

ولا بُدَّ هنا لادراك الامر من نظر اجماليّ في السياسة الدوليّة ولا بأس ان نتخطّينا به الى ذكر الحادث الثالث الكبير الذي جرى في السنة الماضية فنقول:

انَّ المانية وانكلترَّة في الساعة الحاضرة على قاب قوسين من الخلاف والنزاع رغمًا عن الزيارات المتبادلة التي جرت بين ادوارد السابع وغليوم الثاني اي الخال وابن اختهِ ورغمًا عن الانخاب الوديّة التي شربها كلٌّ من الامبراطورين لاكرام الآخر. امّا سبب هذا النفور فتجارة الدولتين وكلٌّ يعلم انَّ انكلترَّة كانت سابقًا فائزة بقصبة السباق في تجارة العالم وخصوصًا في الشرق الاقصى. فيا تُرى أتغضّ الممالك البريطانيّة نظرها عن تقدّم المانية التجاري ومزاحمتها لتجارتها في اسواق الدنيا. فهذا هو المشكل الكبير او بالحريّ المشكل الوحيد الذي يشغل كلَّ الافكار في انكلترَّة

كلّا انَّ وراء ذلك مشكلًا ثانيًا صرّح به آخرًا اللورد روبرتس في مجلس العموم وانّما هو ملحق بالمشكل السابق. معلومٌ انَّ بريطانية العظمى لا تبتغي فقط السباق في الاوقيانوس الهادي لكنّها تريد قبل كلّ شيء صيانة ارضها وحفظ بلادها من كلّ عداء. ولكن كيف يسعها الاطمئنان وراحة البال اذا ما رأت المانية وفقًا لرغوبها تزيد كلّ يوم عدد سفنها دون ان تجاريها في العمل فتُنشي هي ايضًا عدد دوارعها بل عدد جنودها برًّا. ويلجئها الامر ايضًا الى سنّ الخدمة العسكريّة على رعاياها ليقوى جيشها البرّي على ردّ كلّ هجوم عن جزيرتها. فترى انَّ هواجس انكلترَّة لا تخلو من سند. وناهيك به داعيًا يسوق الانكليز على مناصبة السياسة الالمانيّة

وقد حدث غير ذلك من الامور التي زادت في تكدير الخواطر. وذلك انَّ جريدة التيمس في عددها الصادر في ٥ آذار اكّدت بانَّ الامبراطور غليوم الثاني كتب رقيمًا بخط يدهِ لوزير البحريّة اللورد تويدموث (Tweedmouth) يحاول فيه تحوير برنامج البحريّة الانكليزيّة. فجرى لهذا السبب في مجلس العموم مشاجرات عنيفة في جلسة التاسع من الشهر. ولم يجد الوزير وسيلةً ليبرّئ نفسهُ الّا قولهُ بان الرسالة لم تكن رسميّةً فلا يُكترث لها

فكلّ هذه الامور كان من شأنها ان تكدّر صفاء العلاقات بين الدولتين. والمرجّح انَّ اجتماع غليوم الثاني وادوارد السابع في ١١ و١٢ آب لم تكن لهُ غاية أخرى سوى جبر الصدع واصلاح ذات البين. لكنَّ ارباب السياسة رأوا في زيارة

سابقة اداها ملك انكلترة واسرته لقيصر الروس واهله في رفيل (Revel) ما هو اعظم شأناً من مفاوضة ادوارد السابع وغليوم الثاني لأن في هذا التقرب من الغرابة ما يسترقف الابصار. وكان المقصود من هذه المواجهة الملوكيّة ليس فقط اتفاق الدولتين على عدم التداخل في حوادث العجم بل إعداد محالفة انكليزيّة فرنسويّة روسيّة . ومنذ ذاك الوقت لم تزل روابط البلاد الثلاثة تزيد وثاقة . وقد ظهر الامر خصوصاً في حرج المسألة المراكشيّة في شهر تشرين الاوّل

فكلّ هذه الحوادث تنبئ بأفكار الانكليز وسبب حذرهم من المانية. ويضاف اليها استعراض الملك لقوّات الدولة البحريّة وذلك في ١٦ تموز بضعة ايام قبل مواجهته للامبراطور غليوم وكان عدد السفن المستعرضة بالغًا الى عدد ٣٥٠ سفينة

امّا تودّد الانكليز لفرنسة فانّهُ في هذه السنة بلغ شأوهُ من اللطف والولاء. ففي ١٤ أيار كان افتتاح مؤتمر انكليزي وفرنسوي في لندن قرّب الأمّتين وصار في اثرهِ استقبال شائق الرئيس فاليار عدّهُ السياسيّون كانتصار بهيّ وبنوا عليه الآمال الطيّبة لتوطيد السلام

فماذا يا ترى يبقى بعد تقرّب هذه الدّول العظيمة اعني فرنسة وروسيّة وانكلترة من المحالفة الثلاثية التي كانت سابقًا تتودّد السلام العامّ . فانّ ايطالية حليفة المانية والنمسة قد ضعفت علائقها مع تينك الدولتين ولا تزال تصرف بنظرها الى انكلترة لانّ صوالحها التجاريّة وبحريتها مرتبطة ايّ ارتباط بصوالح تلك الدولة . وكذلك قد اخذت ايطالية تميل الى روسيّة كما تشهد عليه ايضاحات وزيرها تيتوني في شهر آذار. وجاءت بعد ذلك مجاهرة النمسة باستيلائها على الهرسك والبشناق فكان فعلها هذا ضربةً لازبة على محالفة الايطاليين للنمسة . وقد حصلت وتنذر مظاهرات عدائيّة في جهات ايطالية ضدّ النمسويين لم تخمد حتى الآن نائرتها. وزد على ذلك ما اثار عمل النمسة من الضغينة والشحناء في قلوب الدول الصقليّة كالصرب والجبل الاسود بل في صدور بعض اهل بلادها ايضًا كالتشاك والبوهيميين والسلوفان فحصلت فتن عديدة ضدّ الحكومة والجنسيّة الالمانيّة لم تقو الدولة على كبحها ألّا بالجهد الجهيد

وكانت المانية في اثناء هذه الفتن لا تزال تظهر مدافعتها عن حليفتها النمسة ألّا انّ مجاملتها هذه قد هيّجت عليها الخواطر وجعلت الدولتين منفردتين بازاء بقيّة الدول

لا يعضدهما احد في سياستهما . وسوف يعلمنا المستقبل ما ستؤول اليه الاحوال . وان امكن اهل موتمر لاهاي ان يعيدوا مياه السلام الى مجاريها سوف يفضّون مشكلاً صعباً ويربحون شكر جميع محبّي السلام

٣ ﴿ الدستور العثماني ﴾ ها قد بلغ بنا الكلام الى الحادث الثالث العظيم الذي جرى في بحر السنة المنتهية ألا وهو الدستور الممنوح للدولة العليّة . فان تحت هذا الامر طائلاً كبيرًا وشأنًا خطيرًا لا يهمّ فقط رعايا الممالك المحروسة بل الدول الاوربيّة كلها اللهمّ الّا بعض الدول الصغرى كالبرتغال والدول الشماليّة

لمّا نشرت الجرائد لاوّل مرّة في ٢٤ تموز خبر انقلاب الاحوال في تركيا ودقّت البشائر في انحاء الولايات بالنظام الدستوري لم يكد الناس يصدّقون الخبر بل ظنّ كثيرون انّ تلك الانباء من الاراجيف والدسائس ليُخدع بها السُذّج ويُصطاد في شباكها المتمسون الى تركيا الفتاة . الّا انّ الامور ظهرت بعد قليل ظهور الشمس في رائعة النهار فبلغ الفرح بين العموم مبلغهُ وتطايرت القلوب بهجةً وسرورًا

ثمّ تساءل الجمهور كيف تحوّلت الامور بغتةً وجرى هذا التغيير العجيب الذي لم يكن احد لينتظر وقوعهُ ولاسيّما دون ثورة ومن غير ان تُسفك الدماء كما حدثت الثورة الفرنسويّة سنة ١٧٨٩ . هل يا ترى يكون مفعول بل فاعل ومعلول بلا علّة ؟

اجل انّ لهذه الثورة دواعي علّلتها كباقي الاحوال السياسيّة التي لم تحدث دون اسباب تسوق اليها . فمن المعلوم المقرّر انّ هذه الحركة نشأت في مكدونية وكانت الاخبار تأتينا حينًا بعد حين تفيدنا انّ الجيش هنالك في اضطراب وشغب . فاخذ انصار تركيا الفتاة ينتهزون الفرصة ليقوّوا شوكتهم باستنادهم الى العسكر ولم يزالوا يجدّون في الامر حتى اكتسبوا الفيلق الثالث كلهُ الذي بهِ كانت تُناط امور مكدونية وكذا جرى مع الفيلق الثاني الذي اقتفى آثار جند مكدونية بل اتّسع نطاق الحركة العسكريّة حتى كاد يعمّ كلّ انحاء الدولة في اوائل سنة ١٩٠٨ . وكان في منستير جمعيّة سريّة ضابطة لعنان التدبير ترسل اوامرها الى سائر الولايات واخذت تعضدها في العمل قوّات الارناووط واليونان والبلغار والفلاح بعد ان كانت في هرج ومرج يلتهم بعضها بعضًا . امّا رئيس تلك الجمعيّة ولسانها فكان الضابط المسمّى نيازي واصلهُ من رسنه . فوجّه الى اهل اوكريدا والى الشعب التركي خطبتين حماسيّتين شيّعتا باسمهِ

بين كلّ اهل تركيا. وقد عضده في مشروعه ضابط آخر يُدعى انور نفي ٢٣ تموز ارسل الى جريدة الالمانية كبيرة (Neue freie Presse) كتاباً يدعو فيه كلّ العثمانيين على اختلاف عناصرهم ليحتفلوا بذلك اليوم كاوّل يوم حريتهم وهو قد امضى كتابهُ هكذا « انور الشير من اعضاء جمعية الاتحاد والترقي العثمانية »

وفي ٢٤ تموز جرت في ادرنه ومنستير فتنةٌ صرّح فيها الجند باستيائهم من القوّاد العاضدين للحكومة كشمسي باشا وهدايت باشا وصادق باشا. وكذلك حدثت في اليمن وبرّ الاناضول وولاية ارضروم ثورات اخرى اتت كلّها بشرها فقلبت النظام العتيق والجأت جلالة السلطان الى العدول عن حكمه المطلق. ففي ٢٣ تموز قدّم الصدر الاعظم استعفاءهُ وتولّى منصبهُ سعيد باشا. وفي ٢٤ منهُ اعلن السلطان عبد الحميد بالنظام الدستوري الذي كان سابقاً منحهُ سنة ١٨٧٦ بل اقسم على القرآن علانية بامانته للدستور وبوفائه حقوقهُ تماماً. واقسم بعدهُ سماحة شيخ الاسلام واعيان الدولة المدنيون والعسكريون. وكانت الأيام التالية لهذا الاعلان أيام اعياد بهيجة أُقيمت الافراح وأُنيرت الانوار وسارت المواكب بالرايات والموسيقى في المدن والقرى الّا بعض الامكنة التي لم ترضَ بهذا التغيير. لكنّ اكثر العثمانيين اطلقوا العنان لسرورهم وتراءوا في هيئة امم ميتة انبعثت من قبورها فنالت حياةً جديدة. ولا حاجة أن نكرّر هنا تفاصيل تلك الحفلات الشائقة التي بلغت غاية الحفاوة لاسيما في بيروت ولبنان (١

وما خمد لظى هذا التحمّس حتى توجّهت افكار العثمانيين الى تعيين النّدوب بين ليُرسَلوا الى مجلس المبعوثان. وكانت الوزارة في اثناء ذلك قدّمت استعفاءها فتشكّلت بدلاً منها وزارة جديدة رئيسها كامل باشا في ٥ آب. ثمّ تواردت الاخبار من ولاية ديار بكر بانّ الجيوش الحميديّة اخلدت الى العصيان وانّ زعيمها ابراهيم باشا يأبى معرفة الحكم الدستوريّ. فأرسلت لمحاربته جنودٌ منظّمة تعقّبت آثارهُ وقاتلتهُ اوحى قتال حتى ظفرت بالحميديين وقتلت ابراهيم باشا واحد ابنائه — وكذلك عصى في اليمن

١) انّ اهل لبنان اظهروا بعد اعلان الدستور من شارات الفرح والبهجة ما قلّ نظير مثاله في غير انحاء الدولة. لكنّهم بعد هدوّ هذه السّورة الاولى من فرحهم ارتأوا انّ الافضل لهم ان يقنعوا بما يتحهم نظام لبنان الدوليّ منذ سنة ١٨٦٠ من الامتيازات والانعامات فعدلوا عن متابعة الحكم الدستوري

راتب باشا مشير العساكر اليمنيّة فدارت عليه الدوائر وقُبض عليه فأرسل كأسير الى الاستانة (Etudes, 20 *Janvier* 1909, p. 199)

وفي يوم الخميس ١٧ كانون الاوّل كان افتتاح دار الندوة في عاصمة المملكة بحضور ١٥٠ مندوباً من المبعوثين وممثلي كلّ الدول فتُلي على مسامعهم خطاب الحضرة السلطانيّة وكان جلالتهُ حاضراً تلك الحفلة في مقام أُفرز لهُ . وفي ذلك اليوم جرت مجالي الافراح في كلّ انحاء الدولة

على انَّ تلك الافراح الدستوريَّة لم تبقَ في صفائها زمنًا طويلًا . فما كادت جمعيَّة الاتّحاد والترقّي تُعلن بالدستور حتى غامت سماء السياسة الدوليَّة . ثمَّ سُمعت وراء السحاب زمجرة الحرب . ففي ٥ تشرين الاوّل اعلن الامير فردينند في ترنوفو عاصمة البلغار القديمة استقلال بلغاريا واتّخذ لنفسهِ لقب القيصر ثمَّ ارسل رقيباً يبدو الى السلطان عبد الحميد ليبلّغهُ الامر رسميًّا . وكلٌّ يُعرف جواب الدولة العليَّة وما جرى من المناولات بين البلادين حتى كادت تستعر بينهما نار الحرب . ثم بعد ان اوشكت الامور ان تصطلح بقبول بلغاريا ان تدفع لتركيا مالًا معلومًا يبلغ خمسة ملايين ليرة (خصمت منها روسيا دين تركيا لها) عاد الثغور

وبعد الاعلان البلغاري بيومين ضمَّت النمسة الى بلادها ولايتي الهرسك والبشناق . فتصدَّت لها الدولة العثمانية واحتجَّت عليها مع دولتي الصرب والجبل الاسود لما في هذا العمل من الاجحاف بحقوق بلادها . وكانت ثالثة الاثافي بعد ذينك الحادثين انتماء جزيرة كريد لدولة اليونان في ٨ من الشهر عينه

فاصبحت هذه الحوادث داعيًا لاصطكاك الدول الاوربيَّة والمنافرات المتواترة بينهما . فانَّ الدولة المسكوبيَّة لم ترضَ بعمل النمسة لاسيما بعد سفر وليّ عهد الصرب الى روسيَّة لكنَّ النمسة جاهرت باستيائها من جارتها وتاومت منها . امَّا المانية فانها غالبًا تعضد النمسة وان لم تصرّح بنيّتها تمامًا . ولما قدم المسيو اسفولسكي الى برلين في ٢٩ تشرين الاوّل لتسوية الامر رجع خائبًا فزاد الخرق اتساعًا . وكانت العناصر المخالفة للنمسة تقوم وتقعد في مناواة الدولة النمسويَّة وعلى الخصوص الاطاليون والصقالبة . وتحفَّزت الصرب والجبل الاسود للقتال وارسلتا جنودهما على حدود النمسة فاسرعت النمسة واوفدت الى تلك الثغور جيشًا خامرهُ الهَلَع اظنهِ بانَّ العدوّ احدق به

فولّى هاربًا وعُزل من جرَّاء ذلك قاندان. وزاد في الطين بلّة انَّ المدن التركيَّة صادرت البضائع النمسويَّة فالحقت بتجارتها خسائر عظيمة وبقيت مطالبات النمسة دون جدوى. امَّا انكلترَّة فراغبةٌ في الصلح وساعية في عقد مؤتمر لاصلاح ذات البين الَّا ان النمسة لا ترضى بهِ ما لم تكفَّ تركيَّا عن مقاطعتها واعانت مع هذا بأنَّها لن ترجع عمَّا سلف من امر الهرسك والبشناق. فترى من كل هذه الارتباكات انَّ السياسة اليوم ملتوية معضلة لا نعلم ماذا يكنُّ لنا الغد فالغد من اسرار العليم وما لا يرتاب فيهِ احد انَّ دولتين قائمتان الآن بناصر دولتنا العليَّة وهما فرنسة وانكلترَّة وعليها تتّكل الممالك المحروسة لحلّ المسألة الشرقيَّة كما انَّها التمست منهما رجالًا أكفاء لتنظيم بحريَّتها واصلاح ماليتها

وهذه الوقائع المستحدثة قد أنست بخطرها ما جرى بين الباب العالي وفرنسة من الخلاف بخصوص معادن هرقلة (١٦ أيّار) ومظاهرات ايطالية البحريَّة بسبب الراهب الايطالي الذي قُتل في طرابلس الغرب (٢٠ نيسان) وثورة اهل جزيرة ساموس على حاكمها من قبل الدولة العليَّة

٤ لمحة في احوال بقيَّة الدُّوَل

وبينا نشاهد تركيَّا تحاول النهضة من خمولها وتجدّد شبابها نماين دولة العجم تناصب طالبي الدستور في تخومها. فانَّ الشاه مُصرٌّ غاية استطاعتهِ على رفض الحكم الدستوريّ فراشَ بنعلهِ جناح الفتنة التي تفاقمت الى حدّ بليغ وقد قام في وجههِ الرأي العام من وجوه الدولة وارباب الدين وكذلك ناهضتهُ الصحافة الحرَّة الوطنيَّة والاجنبية معًا حتى نُقد الامان في طهران عاصمة الدولة وقدَّم سفراء الدول احتجاجهم للمرجع الاعلى. وفي ٢٩ شباط ألقى الثائرون قنبلتين على الشاه فنجا منهما لكنهما ذهبتا بحياة كثيرين من حاشيتهِ. ومع هذا لم يستسلم الشاه الى ارادة الجمهور. ولا يعلم احد الى ما ستؤول الامور. ومن المقرَّر انَّ مقاطعة اذربيجان وحاضرتها تبريز كادت تخرج من حكم العجم. فانَّ الشاه اوفد لمحاربتها فرقةً من جنود الروس المحالفين يقودهم الكولونل اوتشاكوف فاطلق القنابل على المدينة والتحم القتال بين اهلها والجنود الموفدة وكثر الهرج والمرج حتى ظنَّ البعض انَّ روسيَّة عزمت على التوسُّط في العجم. امَّا

روسيَّة فقد صرَّحت لانكلترَّة بأنها لا تتداخل في تلك البلاد طالما لا يُصاب ذووها بأذى وقد الحّت كلتاهما على الشاه بان يتسامح لرعاياه بالحكم الدستوري . لكنَّ الشاه حتى الآن لا يعيرها اذناً صاغية

وقد حلَّت الثورة بممالك أُخرى فكانت الضربة قاضيةً على حياة اصحابها فمن ذلك المكيدة الفاجعة التي دهمت في اواخر كانون الثاني ملك البرتغال دون كرلوس . ففي ٢٨ نشر الحزب الجمهوري اعلانات مهيِّجة ضدَّ الملك في لسبونة . وفي ٢٩ حصل في المدينة مشاجرات دمويَّة . ولم تلبث الانباء البرقيَّة ان نعت ملك البرتغال وابنهُ البكر اللذين قُتلا قتلاً وحيًّا في سلخ الشهر عينه

وقد اصابت اميركة سهمها من هذه الفتن . فان جمهوريَّة هايتي في غليان منذ شهر آذار والاهلون هناك يناوئون الاجانب ويعادونهم اشدَّ العداء . وكذلك ثارت الشرائر في بلاد مكسيك في غاية حزيران وفي الهند الصينيَّة ضدَّ الحكومة الفرنسويَّة وفي جهات هندوراس . ونلحق بهذه الأحداث انقطاع العلائق بين ڤنازويلة والولايات المتَّحدة (٢٤ تموز) وبينها مؤخرًا وبين هولندة التي تمخر سفنها الآن بحر الانتيل لتوقيف المراكب الڤنازويليَّة . وكان رئيس تلك البلاد المدعو كسترو قد هيَّج عليه خواطر الدول بصلفه وعنجهيَّته واورى زناد البغض على الاجانب واليوم قد قُلب هذا الرئيس عن منصبه وهو لا يزال يكيد المكايد ليعود الى رتبته السابقة رغمًا عن مساوئه العديدة

*

(انكلترَّة والمانية) سبق لنا الكلام عنهما ونضيف هنا الى قولنا انَّ في العام الماضي حدث عدَّة حركات فوضويَّة في المانيَّة تكدَّرت لها الخواطر . ففي ١١ كانون الثاني جرت في برلين مظاهرات عنيفة من الاشتراكيين ومن جملة طلباتهم ان يُعطى للجميع حقّ التصويت . وفي اثرها عُقدت في الرشتاغ جلسة تعسَّف فيها بعض اعداء الحكومة عليها حتى أضحى مقام الكنشليار المسيو دي بيلوف حرجًا جدًّا . وكأنَّ اصحاب هذا الهيجان كانوا اتَّفقوا مع رصفائهم في بلاد شتّى ففي اواخر الشهر ذاته حصلت في لندن وفي هنغارية حركات ثوريَّة كمثل المانية . بل ترى النساء انفسهنَّ

اخذنَ يسعينَ بنوال حقّ الانتخاب وقد احتفلن لذلك بالحفلات العديدة والقين الخطب لتأييد مبتغاهنَّ ولعلهنَّ يدركن غايتهنَّ

(بلجكة) توفي فيها فجأة رئيس وزارتها المسيو دي ترووس (de Trooz) في غرّة السنة ١٩٠٨ وبعد اسبوع أُقيم مكانهُ في رئاسة الوزارة المسيو دي شولارت (de Schollaert). وهو رجل ذو دين وخبرة محنَّك بالتدبير — وفي ٥ آذار أمضى الملك ليوبلد قرار تنزُّلهِ عن ملك الكنغو لمملكة البلجيك ثمَّ قدَّم صكَّ عهدهِ لمجلس الدولة الذي بعد المفاوضات الطويلة صادق عليهِ ثمَّ رضي بحكمهِ مجلس الاعيان في ٩ ايلول وعلى هذه الصورة انتهت مسألة الكنغو التي كانت بلغت منذ سنة حدود التوتّر وكثيرًا ما اضحت سببًا للمشاجرات وزواجر الخُطَب. ومنذ تنازل الملك عن حقوقهِ لدولتهِ اخذ اهل بلجكة يعيرون بالًا تلك المستعمرة التي صوَّب اليها اعداؤهم سهام الملام وقرَّعوهم بسببها تقريعًا فاحشًا كما انَّهم نسبوا زورًا للمرسلين الكاثوليك اعمالًا لم يأتوها البتة وذلك كلّهُ لغايات دنيّة لينتزعوا مستعمرة الكنغو من ايدي اهل بلجكة الكاثوليك. وقد افادنا الثقة بانَّ الحركة الصناعيَّة في بلجكة نمت نموًّا عجيبًا منذ استملاك الملك ليوبلد على الكنغو حتى اضحت تلك الدولة في مقدّمة كلّ الدول بصناعتها ومعاملها وبالخصوص بانشائها لشركات الترمواي والسكك الحديديّة في كلّ انحاء المعمور. وكانت عين انكلترَّة طامحةً لتلك البلاد لوقوعها في طريقها بين السودان وجنوبي افريقية لكنَّها زهدت عنها مرغومةً

(فرنسة) انَّ احوال فرنسة أنبي خَلَل من عدَّة وجوه. فانَّ السُّنن السيئة التي يشترعها المبعوثون كثيرًا ما تبخس حقوق الدين وتزيد الاحوال السابقة تفاقمًا. ولا بدع انَّ النكبات المتواترة التي ابتلى بها الله هذه الدولة من علامات غضبهِ عليها لابتعادها عنهُ في حياتها العموميَّة. فمن الرزايا التي دهمتها في السنة المنصرمة عدَّة خطوب نابتها في بحريَّتها كما اشرنا الى ذلك في كلامنا عن مراكش يُضاف اليها حريق طولون في ٢٣ ك ٢ الذي بهِ تلف قسمٌ من الذخائر البحريَّة. فكل هذه الدواهي أدَّت الى استعفاء وزير البحريَّة المسيو تومسون في ٢٠ تشرين الاوَّل بعد المداولات العنيفة في دار الندوة. وزد على ذلك انَّ اميرال اسطول البحر المتوسّط المسيو جرمينه (Germiney) عُزل من رتبتهِ لاعلانهِ بما صارت اليهِ البحريَّة الفرنسويَّة من التقهقر

والتأخر في تجهيز اسلحتها . امّا الجيوش البرّيَّة فقد تكرَّرت فيها حوادث التشغُّب والعصيان التي يحرّض عليها قوم من الفوضويين المضادّين للجنديَّة . وقد مرَّ بك ما حدث من ذلك في البيضاء .

وفي ٢٠ شباط افتُتحت دعوى الضابط اليهودي اولو الخائن لوطنهِ بما اباحهُ من اسرار الجنديَّة . فحُكم عليهِ بان يُخلَع عن رتبتهِ ويُجرَّد من بزَّتهِ العسكريَّة ثمَّ يُحبس الى نهاية حياتهِ في جزيرة الشيطان . ولمَّا استأنف دعواهُ لم تقبل الحكومة احتجاجهُ بل انفذت فيهِ الحكم في ٢٣ أيار فكان لهذا المثل اثر طيّب في الجيش . على انَّ الحكومة لم تلبث ان تطمس معالم هذا الفعل الحسن بفعل آخر اثيم وهو امرُها بنقل رفات ذلك الكاتب النجس اميل زولا الى البنتيون مدفن مشاهير فرنسة وزولا كما هو معلوم كان المدافع عن الخائن اليهودي دريفوس . فعوَّلت الوزارة على تنفيذ هذا الامر في ٢٢ آذار ألا انَّ كلَّ النفوس الابيَّة ومحبّي الوطن ناصبوا هذا الحكم مناصبة الابطال فانتظر ارباب الامر شهر حزيران لنقل تلك الرفات سرًّا . الّا انَّ هذه الحفلة وان سرّيَّة اثارت في قلوب كثيرين شراعر الأنفة والنخوة حتى انَّ احد الوطنيين الاحرار المسمَّى غريغوري اطلق سلاحهُ على دريفوس اذ رآهُ ماشيًا في تلك الحفلة

ومن الآفات التي دهمت فرنسة نقصٌ في تجارتها بلغ في تموز اي نصف السنة ١٣٦ مليونًا من الفرنكات للواردات و١٧٥ للصادرات . وكذلك حصلت عدَّة إفلاسات اخصُّها عجز محل روشات (Rochette) الذي ناهز ٨٠ مليونًا وحريق مكتب الاسلاك التليفونيَّة في ٢٠ ايلول . ولم تختصّ فرنسة وحدها بهذه الازمات الماليَّة فانَّ دولًا أُخرى أُصيبت بمثل مصابها لاسيما في اشغال المعادن والمناجم كالمانية وانكلترَّة وروسيَّة وبلاد ترنسفال . فيا حبَّذا لو تدارك أُولو التدبير هذه البلايا التي توالت على ماليَّة البلاد فاحلَّت بها اضرارًا لا تُحصى

ونلحق بهذه النواجع التي رُزئت بها فرنسة فقدها لبعض ابنائها وغرَّة بلادها منهم العلَّامة المبرِّز بالعلوم الجيولوجيَّة المسيو دي لاباران (de Lapparent) كاتب اسرار اكادمية العلوم واحد اساتذة المكتب الكاثوليكي في باريس . وتآليفهُ العديدة تُعَدّ حجَّة يُستند اليها ويوثق بها وكان المذكور مثالًا حيًّا لاتفاق العلم والدين في خدمة

الوطن . كانت وفاتهُ في ٤ أيار . وبعد زمن قليل أُصيبت العلوم الطبيعيَّة بعلَّامة آخر كان تعيَّن كخلف للمسيو دي لاپاران في اكادمية باريس وهو هنري بكريل (H.Becquerel) الشهير باكتشافاته المتعدّدة عن خواصّ النور واشعَّة الراديوم والعناصر المشعَّة . وفي ٢٩ منهُ جرى لفرنسة رزء ثالث بوفاة شيخ شعرائها فرنسوا كوبه (Fr.Coppée) الذي مات ميتةً صالحةً بعد احتماله بالصبر الجميل لمضض الاوجاع في مرضهِ الاخير وهذا الشاعر كثيرًا ما دافع بقصائدهِ الرنَّانة عن الدين وآلهِ . ومن اموات العام الماضي ذوي الشهرة السير هنري كمبل بنرمان (Sr H. Campbell Bannerman) احد ارباب السياسة الانكليزيَّة توفّي في ٢٢ نيسان في ٧٢ من سنهِ

(النمسة) . ومن الاحداث السارَّة التي قشعت شيئًا من الغيوم المتلبدة فوق هامة النمسة العيد الالماسيّ لامبراطورها فرنسوا جوزيف اقامتهُ ذكرًا لبلوغهِ السنة الستين من ملكهِ (١٨٤٨ — ١٩٠٨) فعمَّت الافراح كلَّ انحاء الدولة . وكان بدء الحفلات الرسميَّة في ١٢ حزيران في عاصمة الملك . وفي ١٨ آب يوم تتويج الامبراطور بلغت المظاهرات اقصى مبلغها وكانت الجموع تتراحم في طريق زعيم المملكة حتى كانت تُرى كالبناء المرصوص حتى قُتل البعض من كثرة الازدحام

(الولايات المتّحدة) كانت اميركة الشماليَّة في حركة واضطراب تنتظر خالفًا لرئيسها روزفلت الذي كانت انتهت مدَّة رئاستهِ . فكانت نتيجة الانتخابات العموميَّة تولية المسيو تافت (Taft) في ٣ تشرين الثاني وتعيَّن كنائبهِ المسيو شرمان (Sherman) والرئيس الجديد صديق المسيو روزفلت واحد انصاره لا يكاد يخالفهُ في خطَّتهِ السياسيَّة . والامل معقود بتقدّم الولايات المتَّحدة في عهدهِ

هذا وكان بودّنا ان نلحق نظرنا السياسيّ بلمحة عامَّة عن ترقّي العلوم في السنة ١٩٠٨ ألا انَّ ذلك يؤدي بنا الى الطول المملّ فرجاؤنا من ادارة المجلَّة ان تفرد لهذا الامر بابًا خاصًّا في بعض اعدادها كعادتها المألوفة حينًا بعد حين

على أنَّا لا نقدر ان نسكت عن مؤتمرين علميَّين عُقدا في اواسط الصيف في شهر آب اولهما مؤتمر الدروس التاريخيَّة الذي يُعقد كلَّ خمس سنوات فعُقد السنة الماضية في برلين . ثمَّ مؤتمر المستشرقين الذي جرى بعدهُ بيومين في كوبنهاغ حاضرة دنيمرك .

لكنَّ المشرق سبق ودوَّن تفاصيلهـــا في عدده الصادر في تشرين الاوَّل عن لسان احد الوفدَين من قبل مكتبنا الشرقيّ فأغنانا عن المراجعة

وليسمح لنا القرَّاء بان ننتهي من هذا النظر الاجمالي بكلمة نجعلها كمسك ختامه . لا غرو ان المطّلعين على الماجريَّات العديدة التي استوقفنا عندها الانظار يردّدون قول سفر الجامعة (٣ : ١١) انَّ الله قضى على ارضه التحوُّل والتغيير ولا غرو فانَّ الممالك دُوَلٌ كاسها افلا يحقُّ بالانسان أن يرفع بنظره الى ما هو اعلى واسمى من هذه الارضيَّات لتقلّبها وزوالها فيوطّد آمالـهُ في دار القرار لدى ذلك الربّ العظيم الذي يضبط كلّ الدول في قبضته ولهُ في تصرُّفها الحكم الاخير . فاذا قرَّت النفس في هـذا المركز الثابت استوت لديها احوال الدنيا فلمحتها بنظر هادئ وعين قريرة لأنَّها تعرف انَّ لا شيء يجري في عالم الزوال بغير علمـه تعالى وهو يدبّر كل الامور لمجده ولخير مختاريه . وان أحدرت النفس نظرها من تلك المشارق العليـا الى الارض رأت في وسطها قبَّةً تحلّق في الهواء كالنسر المرتفع ألا وهي قبّة كنيسة بطرس هامة الرسل في الفاتيكان فهذه قبَّـة السلام يسكن بجوارها شيخ وقور يمثّل ملك الدهور وربّ الارباب . فمن جرى تحت رايته امن الضلال ومن سمع منهُ اصاب الامان لأنَّهُ هو سفير الله السلام الذي عند مولده صرخت الملائكة : المجد لله في العلاء وعلى الارض السلام لمن فيهِ المسرَّة

الالفاظ السحريَّة

نظر للأب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

٤ التمدُّن

التمدُّن احدى الالفاظ التي تتلاعب اليوم بالعقول وتفتن بها الالباب . تكرّرها المنشورات العامة ويردّدها الخطباء وتتلقفهـا الافواه . فكأنَّ في ايرادها غنًى عن كل ايضاح وتبيان . وان سألت الذين ينطقون بهذه اللفظة السحريَّة ان يوضحوا لك بمعناها ويعرّفوا فحواها اجابوك بازدراء ما الحاجة الى تعريف ما يدركهُ الجميع وكادوا يقرّفونك

بجواب تلميذي عمواس للسيّد المسيح لمّا سالهما عن الكلام الذي يتحاوران به (لوقا ٢٤: ١٨) : « أَفأنت وحدك غريب في اورشليم » كيف لا تعلم ما هو التمدّن . وأنّ الحثّ عليهم وتحفيت في السؤال رأيتهم يتلجلجون ويرتابون فيأتون بالاجوبة المتناقضة التي لا يُعبأ بها ولعلّهم ينتهون بنسبتك الى الجهل والغباوة وينظمونك في سلك المتأخرين وذوي الروح العتيق

ولأنّ هؤلاء « المتنوّرين » لم يستطيعوا ان يأتونا بكلام وافٍ ولا جواب شافٍ دعْنا نسبر غور هذه اللفظة الدارجة على ألسنة الجموع فنستشفّ ما وراءها من الاسرار المكنونة والكنوز المدفونة

*

التمدّن لفظة لم تروَ في كلام قدماء العرب في الجاهليّة ولعلّهم لم يعرفوها لرضاهم بعيشة البادية . فكانوا اذا قصدوا المدن لم يتلبّثوا فيها الّا ريثما يقضون اشغالهم فيسرعون الى التبدّي لأنهم كانوا يرون نفوسهم اذا ما احتلّوا المدن المحصّرة بمثابة السمك في الهواء والطير في الماء . وقد سبق حضرة الاب لامنس في مقالته عن البادية والحيرة (في المشرق ١١ : ٧٦٥) فبيّن ما اصاب العرب من البلاء بعد الفتح الاسلاميّ لسكناهم في المدن وكم احتاج الخلفاء الراشدون الى ان يشدّدوا عليهم لئلّا يعودوا الى بدوهم فيتركون المدن خالية معرَّضةً لغارات العدوّ . وكان اذا وُنِّب احد اهل البادية بخشونة العيش وسكناهم في الصحاري مع الوحوش اجابوا مع النعمان بن المنذر على كسرى أنهم آثروا العيشة البدويّة لعزّهم ونخوتهم فجعلوا حصونهم ظهور خيلهم ومهادهم الارض وسقوفهم السماء وجُنّتهم السيوف وعدّتهم الصبر على خلاف غيرهم من الامم الذين جعلوا عزّهم في الحجارة والطين اي البيوت والقصور

ولكن ما لنا والجاهليّة فانّ التمدّن اليوم اشهر من نار على علم ولا بُدّ انّ واضع هذه اللفظة وان مولّدة جعلها اسماً لمسمّى شريف . فالتمدّن من حيث اللفظ الدخول في المدن والاقامة فيها كما يقال تبدّى الحَضَري اذا اقام في البادية . امّا المعنى الاصطلاحيّ فالمراد به لاوّل وهلة الاقتداء باهل المدن والتزيّي بأزيائهم والتخلّق بأخلاقهم والاقتصاص بآثارهم

فما هي رعاك الله تلك السجايا التي خُصّ بها اهل المدن حتى تفاخروا بها على من

سواهم . ليس الجواب على هذا بامر سهل فانَّ كثيرين يظنُّون انَّ صفات التمدُّن تنحصر في بعض ظواهر الانس والتأدُّب في الحياة الاجتماعيَّة اصطلح عليها اهل المدن في معاملاتهم اليوميَّة كأكلهم وشربهم ولبسهم ومبيتهم واستقبال بعضهم لبعض الى غير ذلك من العادات التي ألفها اهل المدن . ونحن لا ننكر انَّها تدخل في خواص التمدُّن لأنَّ سكَّان المدن بوفرة عددهم وتباين غاياتهم واحتياج بعضهم الى البعض الآخر وتضافرهم في الاشغال وطول ائتلافهم على شؤونهم واخلاقهم قد يصبحون ألين عريكة وادمث اخلاقاً فتكرم شمائلهم وتشرف شيمهم ولكن ليس على هذا يتوقَّف التمدُّن وربَّما كانت ظواهر الانس في القرى ارقَّ والطف منها في المدن لاسيَّما انَّ القرويين لسذاجتهم اسلم طويَّة واخلص نيَّة واصدق لهجة فلا يتراءون بما ليس فيهم ولا يعرفون التأنُّق الكاذب والمداهنات الخادعة

ومنهم من يجعل التمدُّن في حرّيَّة الفكر وحرّيَّة السلوك وحرّيَّة القول واليراع فيستسلم الانسان الى كلّ اهوائه ويستبدُّ بآرائه ويطلق لشهواته العنان في نبذ كلّ حاجز او سلطة تعوقهُ في رغائبه . فينقاد لما يُفسد الاخلاق وينتهك حرمة الآداب ويفصم عُرى الشرائع ويسوّغ لنفسه ما لا يحلّلهُ الدين او الضمير فهذا هو على زعمهم التمدُّن يبنون عليه مبادئهم السيئة ويصوّبون سهامهم الى من لا يوافقهم على مذهبهم

فلعمري ان كان هذا هو ما يدعونهُ تمدُّناً فانَّ الهمجيَّة تُفضَّل عليه لأنَّ الهمج اذا ما أتوا افعالاً قبيحة واجترحوا الآثام وارتكبوا المحظورات انَّما يُعذرون لجهلهم ولنشوئهم على الاخلاق الشرسة وانطباعهم على الملكات السيئة . امَّا المتمدّنون الذين انكشف الباطل عن بصائرهم وحصحص لهم الحقّ ورضوا افاويق الأدب فايّ عُذر يُقبل لهم اذا طمسوا نور عقلهم ونقضوا اركان الهيئة الاجتماعيَّة المبنيَّة على العدل والصلاح ومراعاة السُّنن الالهيَّة والشرائع المدنيَّة وطاعة الانسان لربّه ولرؤسائه واحترامه لنفسه والقيام بحقوق قريبه

وليس بأقلّ من هؤلاء شططاً وضلالاً الذين يجعلون مناقضة بين الدين والتمدُّن فيذهبون انَّ التمدُّن يقوم بالفضائل الطبيعيَّة والصفات الألفيَّة الرضيَّة بيد انَّهم يفرزون عنها الدين كأنَّ التمدُّن يمكنهُ ان يثبت بلا تديُّن فيجهلون انهما كاخوين شقيقين او بالاحرى كالنفس والجسم لا ينفصلان الَّا لعطبهما . وانَّ المستقيم اذا

تأصّل في القلب اثر المدنيّة لا محالة. اما التمدّن فانهُ يزهق اذا ما فارقهُ الدين فيُصبح كالجثّة الهامدة التي لا تلبث ان تنحلّ وتفسد بانفصال النفس عنها .

فكلّ هذه الاوهام التي غلبت على عقول بعض المحدثين في عصرنا قد صوّرت التمدّن في مخيّلتهم على غير صوابه فيتحتّم علينا ان نبيّن حقيقتهُ واقسامهُ وشروطهُ لئلا ينخدع اهل بلادنا ببهرجة هذا الاسم ويحملونهُ على غير معناهُ فنقول:

انّ التمدّن تعريب لاسم شاع عند الغربيين منذ اجيال عديدة (civilisation) يوافقهُ عند العرب اسم الحضارة ولفظ العمران . واوّل من استعمل هذه اللفظة بين العرب كتبة القرون المتأخرة من اهل الاندلس كابن خلدون في مقدّمتهِ والمقري في نفح الطيب . ثم تواتر استعمالها حتى دخلت اليوم في اللغة . فمعناها اللفظي قد اتّضح لك في ما سبق بل وقفت على معناها الاصطلاحي القريب . فبقي ان نعرّفها تعريفًا تامًّا مستوفيًا لمعناها الشائع اليوم بين اهل النظر

يُحدّ التمدّن مجموع النظامات المدنيّة والسياسيّة والدينيّة التي تستعين بها الامم لبلوغ غايتها في خدمة هيئتها الاجتماعيّة وخدمة افرادها المادّية والادبية

وليس التمدّن سوى احدى خواصّ الطبيعة البشريّة التي انشأها الله لتعيش بالالفة فتقوى بالاجتماع وتسدّ حاجاتها بضمّ القوى وتقرّب اليها وسائل المعاش بتقسيم الاعمال وتردّ عنها ما يتهدّدها من الآفات وتنمو وتترقّى في الكمال . وقد كذب الذين زعموا بان البشر كلهم ابتدأوا بالمعيشة البدويّة فكانوا يعيشون على شبه الوحوش في الغابات والكهوف . على انّنا نسلّم بانّ المعيشة الالفيّة اختلفت درجاتها وتنوّعت على حسب البلاد وطوارئ الزمان فانّ البشر الاوّلين كانوا اذا احتلّوا ارضًا جديدة وهم قليلو العدد يحتاجون الى القوت القريب بصيد الوحوش وأكل الاثمار والبقول . ويتّخذون من الكسوة ابسطها واخشنها كجلود الحيوان . ويبنون من المساكن اقلّها مؤونة وشغلًا كالاكواخ وربّما اتّخذوا الكهوف الطبيعيّة والمغاور اذ هي تغنيهم عن غيرها وتسترهم من الضواري التي كانت في اطوار العالم الاولى اعظم اجسامًا واشدّ قوّةً واكثر عددًا منها في يومنا كما تدلّ عليه هياكلها المكتشفة في عهدنا . وكذلك كانت احوال كرتنا في تقلّب وتحوّل وقشرة الارض اذ ذاك ارقّ واسرع تخرّقًا فتتوالى الزلازل وتنفجر النيران الداخليّة من البراكين ويكثر طغيان المياه وتشتدّ الانواء . فكلّ

هذه الاحوال كانت تضطرّ طوائف من الناس الأوّلين الى احوال من المعاش اقرب الى البداوة منها الى الحضارة

على انّ ذلك لم يعمّ البشر اجمعين فانّ منهم من احتلُّوا بلاداً مخصبة متوفّرة الخيرات كثيرة المرافق يغلب عليها اعتدال الشتاء والصيف كوادي دجلة والفرات وكوادي النيل. فانّ اهل تلك البلاد اسرعوا الى توفير وسائل الالفة فمصّروا الامصار وابتنوا المدن والمنازل الرحبة والقصور الشاهقة التي اكتشف عليها الاثريّون بالحفريّات المتعدّدة منذ خمسين سنة وهي تُرقّي الى اطوار البشر الاولى وليست آثارها الهندسيّة والصناعيّة دون آثارنا بل يأخذ العجب من دقّتها وحسن صنعها الذين يزورون المتاحف الاثريّة وفيها من تلك البقايا اشياء كثيرة قد فُقد اليوم سرّ اصطناعها

وان القينا النظر الى تلك الامم العظيمة التي قامت في سالف الاجيال كالبابليين والعيلاميين والكلدان والمصريين والصينيين والفرس واليونان والرومان وجدنا لهم تمدُّناً واسماً تشهد عليه تواريخهم وآثارهم التي صبرت على آفات الدهر. فلا يسعنا الّا أن نقرّ لهم بالحضارة والعمران

نعم انّ تمدُّن تلك الامم الدابرة لم يشبه تمدُّننا الحالي بيد انّنا لا نستطيع ان نقيس نظاماتها بنظاماتنا لاسيَّما انّ التمدُّن العصريّ من حيث مبادئهِ الادبيَّة قد تشرَّب اصول الدين النصرانيّ شاء ام أبى وهذه الاصول كما لا يخفى كانت الشعوب القديمة تجهلها فلمَّا شاعت بين الامم المتأخرين اجمع اصحاب الرأي السديد على ترجيح تمدّنها لكنّ الفضل ليس للهيئة الاجتماعيَّة الحديثة وانَّما هو للدين الذي منهُ استعارت هذه المبادئ الشريفة فجرت عليها ولعلّ بعض هذه الامم نسيت فضل الكنيسة مربّيتها كما يفعل الاحداث الذين يلطمون ظاهرهم باليدين بعد ان رضعوا حليبها

فاذ انكشفت لك حقيقة التمدُّن وتباين طبقاتهِ بين الامم يسوغ لنا بان ندخل في قلب المسألة ونبيّن بايّ شيّ يقوم التمدُّن بوجه الاجمال فنفرز بين البلاد التمدّنة وغيرها

انّهُ لمن المقرّر الاكيد انّ المجموع العمرانيّ لا يثبت الّا بثلثة امور اذا اختلّ منها واحد تضعضع وتلاشى. فالامر الاوَّل هنا عيش المرء في حياتهِ المادّيَّة والادبيَّة. والثاني حسن مواصلاتهِ مع ابناء جلدتهِ. والثالث حظوتهُ بنظام سياسي لائق

وتدبير موافق. فاذا كان انسان متمتعاً في بلدهِ بهذه الاشياء الثلثة عُدَّ بلده متمدّناً. ويكون التمدُّن ارقى او احطَّ على قدر ما تتوفَّر هذه الامور او تنقص. فالامر الاوَّل يؤكد لهُ الهناء في عيشتهِ الفرديَّة. والثاني في عيشتهِ الاهليَّة والاجتماعيَّة. والثالث في عيشتهِ السياسيَّة والوطنيَّة

فالشرط الاوَّل للتمدُّن ان يجد الانسان ما يسدُّ كلَّ حاجاتهِ. ففي الانسان جسدٌ يحتاج الى ان ينشأ وينمو ويقوى ويردُّ عنه الاضرار والآفات وكلُّ ذلك لا يتمُّ الَّا بتوفُّر اسباب المعاش من قوت وملابس وسُكنى وهذه المرافق الماديَّة لا تُدرك الَّا بقوَّة حاكمة تنشّط الاشغال وتوسّع نطاق الحرف والصنائع وتنهض بالزراعة من خمولها وتوفّر وسائل المواصلات لإنفاق المحصولات او استجلابها. ثمَّ للانسان عقلٌ غريزيّ اذا لم يثقّفهُ بقي قليل الادراك لا ينتفع بهِ الَّا في اشياء زهيدة. وان هذَّبهُ ووسَّع مداركهُ احرز بهِ منافع جمَّة. وذلك لا يُنال الَّا بانشاء المدارس والتعليم وضروب المكاتب للفنون الجميلة. وللانسان نفسٌ ناطقة شريفة قابلة للفضائل والأخلاق الحميدة والاميال الصالحة التي بها يزيد كمالهُ. فلا بُدَّ لهُ من إمام يرشدهُ ورئيس يهذّبهُ فيجردهُ عن ملكاتهِ المنحرفة ويزرع في قلبهِ العادات الحسنة. وكلُّ ذلك مما لا يفوز بهِ الانسان الَّا بدين يهديهِ الى الصلاح ويردُّهُ عن القبيح

والشرط الثاني للتمدُّن انَّما يتوقَّف على الواصلات التي تجمع اهل كلّ بلدٍ بعضهم مع بعض. لأنَّ الانسان من حيث هو عضوٌ من اعضاء الهيئة الاجتماعيَّة يرتبط بقريبهِ كما يرتبط قريبهُ بهِ فهو كحلقة من تلك السلسلة العظيمة التي لا تسقط احدى حلقاتها الَّا بانفصام السلسلة وانفراطها. ومن هذا القبيل يعيش المرء عيشة بيتيَّة تربطهُ باهل بيتهِ من الدين واخوة وزوجة واولاد. ويعيش عيشة مدنيَّة مع اهل بلدتهِ فيخدمهم ويخدمونهُ ويعاملهم ويعاملونهُ. ولا بُدَّ لكلّ ذلك من سلطة حاكمة ترعى الحقوق وتجري بالعدل والانصاف ولا تحابي بالوجوه وتأخذ بناصر المظلوم على الظالم ليقوم كلُّ انسان بواجباتهِ المفروضة عليهِ ولا يتعدَّى على حقوق جارهِ. وكذلك في المجتمع البشري من أُصيب بآفة في جسدهِ او مالهِ فلا يمكنهُ ان يقوم بحاجتهِ فمنهم المرضى والعجزة واليتامى والفقراء فيقتضي لكلّ هؤلاء مساعدون يُعنَون بحاجاتهم. فيعيّن الرؤساء مَن يهتمّ بامرهم لئلّا تودي بحياتهم آفات الدهر

والشرط الثالث للتمدُّن أن يأمن اهل بلدٍ على صفاء عيشتهم من اهل بلدٍ آخر فيسدُّون ثغوره ويجماون لهُ الحامية في وجه اعدائهِ ثم ينظّرون لهُ النظامات العمومية والمشروعات الوطنيَّة ويرتبون لكل ذلك المالية الكافية فتُجتبى الاموال وتوزَّع على مقتضى الحاجات. وذلك كلّهُ لا يستغني عن هيئة تدبيريَّة من رئيس ومرؤوس وامير ومأمور مهما اختلفت الهيئة الحاكمة من سلطنة او ملك او مشيخة او جمهوريَّة. وبذلك تقوم العيشة السياسيَّة التي تجمع كل افراد الوطن فتجعلهم جسمًا واحدًا ادبيًا مستقلًّا بذاتهِ كائنًا لنفسهِ ممتازًا عن غيرهِ

فهذه هي شروط التمدُّن الصحيح فان اردت ان تعرف ايَّ بلدٍ من البلاد يتمتَّع بهِ او يخلو منهُ فانظر أهو حاصل على هذه الشروط التي وصفناها ام لا وتكون درجة تمدُّنهِ على قدر حصولهِ عليها ورسوخ قدمهِ فيها

والحقّ يقال ان الدول النصرانيَّة الاوربيَّة قد جرت بموجب هذه الشروط اكثر من سواها وفي هذا سرّ نجاحها وتقدمها فانَّها بنظاماتها وسُنَنها وشرائعها قد ضمنت للافراد الحياة الهنيئة بحيث يجدون على وجه الاجمال سعادتهم الماديَّة والادبيَّة في المشروعات المدنية التي سنَّتها تلك الامم سواء كانت لقوام معاشهم او لتهذيب عقولهم بانشاء المدارس لاصناف العلوم وضروب الفنون او لتثقيف طباعهم واصلاح نفوسهم بمساعدة ارباب الدين وكذلك عرفت تلك الدول أن تؤلف بين طبقات الناس وتؤدي لكل ذي حقّ حقوقهُ فتساوي بين الصغير والكبير وتنتصر للضعيف على القويّ ولا تسهو عن المنكوبين وتقيم للمرضى مستشفيات عامَّة وللصغار ملاجئ وللعجزة مآوى وللفقراء ملاجئ. كما أنَّها بدساتيرها وقوانينها تفكّر بتعزيز جانب الوطن ورفع شأنهِ والذبّ عن حقوقهِ وتوفير ماليَّتهِ وتوسيع نطاق اعمالهِ التجاريَّة والزراعيَّة والاستعماريَّة

امَّا مصدر هذا التمدُّن الحديث الذي رفع باوربة الى هذه الرتبة السامية فهو بلا مراء الدين المسيحي كما يقرّ بهِ كلّ المتنزهين عن الاغراض: وان تعقَّبتَ الشروط الثلاثة التي سبق لنا ذكرها وجدت انَّ للكنيسة في تحقيقها السهم الاعظم. فانَّ الكنيسة بمشروعاتها الاهليَّة والمدنيَّة والادبيَّة هذَّبت الدول الاوربيَّة وبلّغتها ارج فخرها بعد ان عطفت عليها في مهدها كالأمّ الرحوم وسهرت على شبابها

فخذ مثلًا العيشة الماديَّة فلا يستطيع احدٌ ان ينكر انَّ الكنيسة برهبانياتها منذ

القرن الخامس قد طوّقت اوربّة مننًا لا يفي بها شكر فانّ الجمعيّات الرهبانيّة وجدت قبائل البرابرة قد انقضّت على تلك البلاد انقضاض الكواسر لا تعيش الّا من الغزوات والصيد فاخذت تعلّمها ضروب الصناعة ولاسيما الحراثة حتى انّ رهبانها كادوا يحرثون اربعة اخماس اوربّة كلّها وكانوا هم يعيشون عيشة قشفة يرضون باليسير الزهيد ويقضون معظم سنتهم صومًا فيوزّعون على الفقراء والبائسين ما تغلّ الاراضي المسقيّة بعرق جبينهم . وكان الناس يقبلون الى اديرتهم ويسكنون بجوارهم ويتعلّمون منهم شغل الزراعة والبناء فيعمّرون المساكن ويحضّرون الامصار . ولو اردنا ان نعدّد المدن الاوربيّة التي ينتمي اصلها الى الجمعيّات الرهبانيّة لاضاف جدولها على عدّة صفحات

وكان من هذه الجمعيّات الرهبانيّة طوائف تختصّ بفنّ البناء . وغيرها بمدّ الجسور على الانهار ومنها ما كان يهتمّ بالصنائع الميكانيكيّة او بنسخ الكتب ولولا الرهبان لفقد العدد الاوفر من آثار حكمة اليونان واعمال الرومان كما تشهد على ذلك خزائن الكتب الاوربيّة

وان اعتبرت حياة الانسان العقليّة والعلوم وجدت انّ الكنيسة وحدها نجّت المعارف البشريّة من غرقها لمّا زحفت برابرة الشمال على اوربّة فصانتها في اديرتها وجعلت كل دير منها معهدًا للعلوم والفنون الجميلة فكانت تُقبل اليها الطلبة افواجًا . ولمّا هدأت الحروب وعاد السلام الى الدول في القرون الوسطى انشأت الكنيسة في ايطالية وانكلترّة والمانية وفرنسة تلك الكلّيات التي تخرّج فيها كل مشاهير العلماء في تلك الاعصار . وكانت عدّة رهبانيّات جعلت التعليم وتهذيب الشبيبة من اخصّ فرائضها كالرهبانية البندكتية والرهبانية الدومنيكية والرهبانية الفرنسيسية ومن بعدها الرهبانية اليسوعية . ولا نجد علمًا من العلوم البشرية الّا ولابناء الكنيسة فيه متون من التآليف وقد سبق لنا في المشرق (٦ : ١٥) ردًّا على مجلّة مصريّة مقالة « في الكنيسة والعلوم الفلكية » فقس عليها بقية العلوم . وكلّ ذلك قبل انشاء الدول لمدارسها الوطنية بزمن طويل

. امّا حياة الانسان الادبيّة فلا نظنّ احدًا ينكر علينا انّ ما يتاز به التمدّن العصري من جهة الآداب انّما استقاه كلّهُ من تعاليم الكنيسة حتى قال الفيلسوف البروتستاني گيزو (Guizot) ان التمدّن الفرنسويّ كلّهُ الذي فاق على تمدّن بقيّة

الامم انما كان عمل الاساقفة وهم الذين اصطنعوا فرنسة كما تصطنع النحل خلاياها. ويا ليت بعض الدول تبالغ اليوم في اقتباسها عن الدين مبادئهُ فانها لو فعلت لزادت في سعادة رعاياها وأمِنت هي المشاغب والفوضى وكل الاخطار التي تتهدَّد المجتمع البشريّ بتناقص الدين لانَّ التمدُّن الصحيح يقوم بالآداب اكثر منهُ بوفرة الاسباب المادّيّة او بترقّي العلوم نفسها. ولا أدبَ بلا دين. فان شئت ان تعرف الدرجة التي بلغها احد البلاد في سلَّم التمدُّن فانظر الى آدابهِ ودينهِ وان رأيت الآداب فيهِ قد تقهقرت وحبل الدين في انتقاض فتحقَّق انَّ تمدُّنهُ في هبوط وسوف يعود قريبًا الى الهمجيَّة. ويسرُّنا ان نختم هذا الفصل الوجيز بنقل ما كتبهُ في هذا الصدد احد مشاهير وطننا المعلم بطرس البستاني في دائرة المعارف حيث قال وفي قولهِ تأييدٌ لكلامنا السابق:

هو مقرَّر انَّ الدين ليس هو التمدُّن... ولكن ان لم يكن هو التمدُّن فهو مبدأ التمدُّن فنهُ ومن الواجبات التي يفرضها والثابتة التي يبيّنها للحياة البشريَّة. والنسبة التي يضعها بين الاجناس والرتب والشعوب وبالاختصار من تعليمهِ الادبيّ تنبجس ينابيع النظامات والاخلاق اكثر مما سواه

ثم قابل بين تمدُّن الشعوب القديمة التي كانت قبل المسيح والشعوب المسيحيَّة التي أُنشئت وفقًا لانجيلهِ المقدَّس فقال:

وبالاختصار فكلُّ التمدُّنات التي كانت قبل المسيح تتشابه جدًّا اي بانها تنكر المساواة الاصلية في الناس. واليهود انفسهم الذين كان عندهم مستودع الحقائق الادبية والدينية لم يكونوا يقبلون المساواة الَّا في دائرة ضيقة تمامًا عديمة الجدوى. امَّا اساس الادب الدينيّ الان فأخوَّة الناس جميعًا الذين خالقهم واحد وهو الله وابوهم واحد ونفوسهم متساوية وهم اعضاء عائلة واحدة متفرّقون. وهذا هو حاجز لا يُخرَق قائم بين التمدُّن القديم والتمدُّن الحديث الذي ينبوعهُ الانجيل والذي نماءهُ كلَّهُ قد ثبت لسرعة نقل عقيدة الاخاء الدينيّ من الكنيسة التي علَّمت بهِ الى المسكونة التي تقرّبهُ وتضدّهُ فهذا هو غاية مبادئ التمدُّن التي سادت وتسود الى الآن بين الناس

فيا حبَّذا لو ادرك اهل بلادنا هذه القضايا فلا ينخدعوا بظواهر التمدُّن وقشرتهِ دون لبّهِ وحقيقتهِ. فهيهات ان ندعى متمدّنين باستعارتنا من الاجانب مجازفةً بعض عاداتهم السيئة كالازياء (المودات) والمراقص والمراسح الخلاعيَّة والروايات البذيَّة والمضاربات التجاريَّة فكلُّ ذلك والتمدُّن على طرفي نقيض. وقد وضع السيد المسيح الاساس الاوَّل للتمدُّن بقولهِ عزَّ من قائل (متى ٦: ٣٣): «اطلبوا اولًا ملكوت الله وبرَّهُ وهذا كلُّهُ يزاد لكم»

مطبوعات شرقية جديدة

STUDIA SYRIACA, fasc. III: Vetusta Documenta Liturgica primo edidit, latine vertit, notis illustravit IGNATIUS EPHRAEM II RAHMANI PATRIARCHA ANTIOCHENUS SYRORUM. *Typis patriarchalibus in Seminario Scharfensi de Monte Libano*, 1908 pp. VIII-98-»

آثار طقسية قديمة في السريانية

هو مجموع نفيس اودعهُ غبطة السيّد الجليل اغناطيوس افرام الثاني الرحماني البطريرك الانطاكي على السريان الكاثوليك خمسةً من الآثار السريانية القديمة. ونحن نتكلّم عنها في عكس ترتيبها لنجعل اوّلها مسك ختامنا. فنقول: انّ الأثر الخامس يحتوي اربع قِطع صغيرة من ميامر (λόγοι ἐπιθρόνιοι) ساويرس الانطاكي زعيم البدعة اليعقوبيّة فيها افادات طقسيّة وتاريخيّة خطيرة شوّقتنا الى نشر باقيها الموجود في مخطوطات الفاتيكان. امّا الأثر الرابع فيشتمل على رسالة لانثيموس بطريرك القسطنطينيّة الى يعقوب البرادعي لكنّي مرتاب في صحّتها لأنّ انثيموس كان جالسًا على كرسي القسطنطينيّة سنة ٥٣٦ وفي هذا التاريخ ما كان لاحد من بطاركة القسطنطينية ان يكتب كتابًا للبرادعي وهو اذ ذاك راهبٌ خامل الذكر في دير فسيلتا فيُعنونهُ بقولهِ: «الى حبيبنا يعقوب اسقف الرها». ثمّ في موضوع الرسالة ما يزيدنا شكًّا في حقيقتها فانّ انثيموس يوصي يعقوب بان يُحسن اختيار المرشّحين للاسقفيّة ويختبرهم بحرص واعتناء ثم يندّد بالذين يُسرعون في تسقيف المرشّحين مع قلّة اهليّتهم لهذه الرتبة السامية. ففحوى الرسالة لا ينطبق مع حالة البرادعي. فلو صحّت لاقتضى ان يكون تاريخها بعد ذلك بسنين اعني بعد سنة ٥٤٣ اذ سُقّف البرادعي بحماية الامبراطورة تيودورا واخذ يتجوّل في سوريّة الوسطى ويطلب كهنةً من شيعتهِ ليرسمهم اساقفة بدلًا من اولئك الذين تشدّد عليهم الامبراطور يستنيان ونفاهم. فلا بُدَّ ان تكون هذه الرسالة مصنوعة او تكون موجّهة الى غير البرادعي. امّا الاثران الثاني والثالث فمدارهما على مواضيع تهذيبيّة وطقسيّة وكان فحواهما معروفًا في السابق الّا انّهما مفيدان لبيان القوانين الشرقيّة لاسيما اذا أمكن تعريف زمن تأليفهما.

بقي علينا الأثر الأوَّل الذي أخرناهُ لخطرهِ وهو يتضمَّن صورة رتبة كنسيَّة كان يتَّخذها ارباب الطقس اليوناني لتنصيب اساقفتهم . وهـذا الأثر منقول عن كتاب مخطوط بالسريانيَّة وُجد في مديات في جبل طور عابدين ويُرتقى عهدهُ الى القرن الثامن او التاسع . وكتابة هـذه الرتبة بالسريانيَّة دليل على انَّ الكنيسة اليونانيَّة كانت تستعمل اللغة السريانية في طقوسها منذ ذلك العهد كما بيَّنهُ غبطة السيّد البطريرك في مقدَّمتهِ على هذا الأثر الجليل وفيهِ تأييد لما كتبتهُ مرارًا مجلة المشرق في صددهِ وقد اوضحهُ مؤخَّرًا حضرة الاب كيرلُس شارون الرومي الكاثوليكي الملكي باضوإ الحجج واسطع البيّنات (اطلب المشرق ١١ : ٩٦٠) . وفي رأس الأثر الجديد الذي نتكلَّم عنهُ هذا العنوان : (ܡܬܩܪܝܢ ܬܪܝܢ ܟܬܒܐ ܝܘܢܝܐ ܘܣܘܪܝܝܐ) اي « يُقرأ الكتابان اليونانيّ والسريانيّ » . ويزيد هذا المجموع حسنًا ملحق يحتوي على ختام مخطوطين سريانيين وجدهما غبطتهُ في قيثًا عند احد محبّي الآثار الشرقيَّة تاريخ اوَّلها سنة ٧٢٣ م والثاني ١٠٥٦ وفي ختام الاوَّل ذكر لكنيسة الروم الملكيين في الرها مع اسماء كلّ خدَمتها اي مطرانها وكهنتها وشمامستها . وهي فائدة جليلة لمعرفة تاريخ الملكيين في تلك الحاضرة في اوائل القرن الثامن . امَّا ختام الكتاب الثاني وهو ايضًا للملكيين فيهِ ترجمة التريودي الى السريانية فيشير الى دير على اسم القديس جرجس كان للملكيين في ضواحي انطاكية في محلّها الشهير المسمَّى دَفنة والى كنيسة لهم كانت في الجبل الاسود (ܐܘܟܡܐ) على اسم الشهيد بندليمون

الاب ب . بيترس

دليل بيروت (تقويم الاقبال) اثر السيّد عبد الباسط الانسيّ

طُبع بمطبعة جريدة الاقبال في بيروت للسنة الهجرية ١٣٢٧ (ص ٢٢٤)

كان الاخوان الشقيقان امين افنـدي الخوري والمرحوم خليل صاحب المكتبة الادبيَّة نشرا قبل ٢٠ سنة دليلًا لبيروت تحت اسم الجامعة اودعاهُ معلومات متعددة عن بيروت واهلها وامكنتها وصنائعها واشغالها ثم بطل هذا الدليل بعد بضع سنوات . وها قد استأنف العمل جناب السيّد عبد الباسط افندي الانسيّ بل وسَّعهُ وضمَّنهُ عددًا وافرًا من ضروب الفوائد التي يحتاج اليها البيروتيُّون على اختلاف طوائفهم من تاريخ

الشهور والاعياد ونظام الدولة العثمانيّة واحكامها وولاياتها وخصوصاً ولاية بيروت ودوائرها وشركاتها ومعاهدها الدينيّة وسككها ومدارسها ومعابدها وتجارها وصناعها الى غير ذلك ممّا يستغرق جدوله عدَّة صفحات. فجاء كتاباً غاية في النفع لا يستغني عنهُ البيروتيّون والغرباء الذين يقصدون مدينتهم. ولا غرو ان يقع في كتاب مثل هذا بعض الاغلاط واملنا وطيد بانَّ صاحبهُ الاديب يصلحها في السنة القادمة فمن ذلك أنَّ عيد الاربعين (ص ٢٣) جُعل في ٩ آذار يوم الاثنين للطوائف الشرقيّة وفي ٩ اذار ايضاً يوم الثلثاء (؟) للطوائف الغربية. وكذلك وُضع وقوع عيد البشارة في ٢٥ اذار الاربعاء للطوائف الشرقيَّة وفي ٢٥ آذار ايضاً الخميس (؟) للفريقين وقس عليهما اعياداً اخرى وكل يعرف انَّ بين التاريخ الغربيّ والشرقيّ ١٣ يوماً. وممّا لا ينطبق مع الترقّي العلميّ في عصرنا الجدول الذي اثبتهُ جناب المؤلف (ص ٥٥) للحروف الابجديّة وتعبير الرؤيا عليها. وقد فاتهُ من امور الكاثوليك اشياء كثيرة فنسي في جدول اساقفة الروم الكاثوليك رئيس اساقفة حلب. وفي الكنائس كنيستي الآباء اللعازريين واليسوعيين. وفي المدارس مدارس اليسوعيين في الرميلة ورأس بيروت ومدارس الاخوة المريميين ومدارس راهبات المحبَّة وراهبات مار يوسف والعائلة المقدَّسة وقلبي يسوع ومريم واعمال خيريَّة عديدة كمياتم ومستوصفات. هذه بعض ملحوظات اوردناها اجابةً الى ملتمس صاحب الكتاب في مقدَّمته ل. ش

كتاب دليل الفردوس

مواعظ انشأها وجمعها الخوري افرام ابيض خادم طائفة السريان الكاثوليك بمصر

الجزء الرابع. طُبع بمطبعة التوفيق في مصر سنة ١٩٠٨ (ص ٤٨٠)

هذا دليل آخر لا يهدي قارئهُ الى معرفة بلد في دار الفناء بل يرشدهُ الى مقام اسمى واشرف في دار البقاء. فرحباً بهِ وسهلًا وقد سبق المشرق (١٠ : ١٨٨) وعرَّف الرائد الثقة الذي اوقف نفسهُ لهذا العمل المبرور ولم يكتفِ حضرة المؤلف بالقاء الارشادات والدَّلالة على الفردوس شفاهاً بل احبَّ تدوين مواعظهِ لتبقى كدليل حيّ ثابت لكلّ من يرغب في السير الى فردوس الابرار. وهذا الجزء الرابع من تلك الخطب البليغة التي ألقاها خطيبنا المصريّ فضمَّنها كثيراً من المواضيع التي يجب

الشرقيُّون استماعها لانطباقها على المباحث الجارية على ألسنة اهل العصر فيسمعونها في نوادي الادباء او يقرأونها في الجرائد السيَّارة وربَّما اختلط فيها الغثّ والسمين والاصيل والهجين فلا يعلمون وجه الصواب وفي هذه الخطب ما يزيل ارتيابهم بحججه الراهنة وبيّناتهِ الواضحة التي ينقلها حيناً عن الاسفار المنزلة وحيناً عن تقليد الآباء الاوَّلين وتارةً يدعمها بتعليم احبار الكنيسة وتارةً يثبتها بتقارير المجامع المسكونية . وفي كل حال يؤيد هذه البراهين بالأدلَّة العقليَّة او يبيّن على الاقلّ في شرحهِ للاسرار الالهيَّة التي تفوق طور الادراك ان العقل لا يمكنهُ إنقاضها بعد ثبوت الوحي بها ومن ثم يرد اعتراضات الناكرين لصحَّتها في بلادنا . فنشكر اذن حضرة المؤلف على هذا الاثر الجديد ونتمنَّى ان يستدل كثيرون بتأليفهِ على طريق الفردوس ل . ش

رحلة الحبشة

تأليف صادق باشا المؤيد العظم . وتعريب رفيق بك العظم وحقي بك العظم
طُبع بمطبعة الجريدة في مصر سنة ١٣٢٦ – ١٩٠٨ (ص و + ٢٢٥)

هذه رحلة حديثة باشرها في ربيع السنة المنصرمة صاحب الدولة صادق باشا المؤيد العظم فريق اوَّل بالجيش العثماني امتثالاً لامر جلالة السلطان عبد الحميد ليوصل كتابهُ الهمايوني الى جلالة منليك الثاني نجاشي الحبشة . فرأى جناب المندوب في هذه الرحلة فرصة مناسبة لتدوين اخبار سفرتهِ فكتب يوماً بعد يوم ما جرى لهُ فيها ووضع بالتركية سفراً واسماً نفيساً اسرع الى تعريبه اديبان من اسرتهِ الكريمة . ولم يجترئ جناب الرحَّالة بوصف سفرهِ وما لحظهُ في طريقهِ لكنَّهُ وسَّع نطاق عملهِ فضمَّنهُ كلّ ما تلذّ القارئ معرفتهُ من احوال الحبشة كجغرافية البلاد وتاريخها ولغتها وآدابها وشرائعها وافاض في وصف النجاشي واسرتهِ وحاشيتهِ وعاصمته اديس آبابا . ولولا انَّ مكاتبنا الاديب الصيدليّ القانونيّ عبدالله افندي ميشال رعد سبق الى نشر فصول عديدة عن الحبشة في المشرق لنقلنا من الكتاب بعض مرويَّاتهِ التي تنطبق تماماً مع ما اخبر بهِ جناب المكاتب . وفي آخر الكتاب ترجمة بعض مشاهير الاحباش اوَّلهم « لقمان الحبشي » وكان الاولى ضرب الصفح عن مثل هذا الرجل الذي لا يُعرف من اخباره شيء مقرَّر . وهذا التأليف على وجه الاجمال حقيقٌ بان تزدان بهِ مكاتب الخاصَّة فنحضُّ الادباء على اقتنائهِ ل . ش

شذرات

منارة الدين اقترح احد الاصحاب على الشيخ احمد افندي تقي الدين المحامي القانوني مقالةً في الدين يختمها بتهنئة قداسة البابا بيوس العاشر بيوبيلهِ الكهنوتي فقال جنابهُ:

الدين ما جعل السلام شعارا ... وأقال فينا كبوةً وعثارا
وأزاح عن وجه الحقيقة برقعاً ... واقام في وجه الضلال ستارا
تتباين الآراء في نزعاته ... والكلُّ يعبد واحداً قهَّارا (١
رفعوا لهُ فوق الثراء معابداً ... والى الثريَّا قبةً ومزارا
ومن البريَّة مَن تحاذر طَرْفهُ ... فرأى الحياة حرارةً وبُخارا
فأعوذ ممَّا يزعمون وليتهم ... نهجوا الصواب وجانبوا الأوزارا
فالله حقٌّ والشريعة نورهُ ... ومن استنار يُبلَّغ الاوطارا
والدين في هذا الوجود منارة ... وَسْط الدجنَّةِ ترسل الانوارا

بحر العالم

والكونُ بحرٌ والخليقة رُحَّلٌ ... ركبوا الحوادث وابتغوا اسفارا
يتساجلون ولا يقرُّ قرارهم ... أرأيت للبحر المحيط قرارا
يتشوَّفون الى الثغور وفيهم ... حَسَرٌ بنى دون الثغور جدارا
يَرِدون ابحار الوجود وحسبُهم ... بأُباجه لا ينقمون أُوارا
فالمدُّ آمال نوتِّر قوسَها ... والجزْر يأْس يقطع الاوتارا

سفينة الحياة

انَّ الحياة سفينةٌ مخرتْ بنا ... نحو المنى وأقلَّت الاعمارا
تَنساب في صدر العُباب كأنها ... بين الخمائل ينشد الاوكارا
تقتادها الاهواء وهي عواصف ... وتديرها الالبابُ وهي سكارى
فمن الهوى ما لا يردُّ جماحها ... ومن الحجى ما يدفع التيَّارا
فالعُرْبُ قد ركبوا المطيَّ الى الهدى ... والعُجم قادوا مركباً وقطارا

١) النزعات المذاهب فبعضها صحيح وبعضها باطل كما لا يخفى وان كان الاله واحداً (المشرق)

لبسوا الدجى فالبعض آنس جمرةً نعشى اليها طائعاً مختارا
والبعض خاض اليمَّ يطلب لجّةً يلقى بها نوراً فصادف قارا
والبعض تاهَ عن الصراط وقد غوى وكذاك يشردُ من يخوض بحارا
فالخيرُ ينشـد للنفوس سعادةً والشرُّ يسدل دونها استارا
والنفس كالمرآة تحسُن إن صفت او كُدرت فجمالهـا يتوارى

ثغر الحياة

يا وارداً ثغر الحيـاة وثغرها ساقٍ يُدير على الانام بوارا
هل في الكؤوس ثمالةٌ تروي الظما فتـروغ وتغالب الاقـدارا
هيهات وصلٌ والسعادة ظبيةٌ ان زدتها قربـاً تزدك نفارا
لكن بصدري جنّـةٌ وجهنّمٌ أوَ لم ترَ النيران والانهارا
فاذا صدقتُ ارى بنفسي جنّـةً واذا كذبتُ ارى بنفسي نارا
والدين مـا زرع الضمير وجاده غيثُ الصواب فأنبت الابرارا

التهنئة والتخلص

والقائمون بامره عُصَب التقى الطالبون الى السعادة دارا
اللابسون على المسيح حدادَهم اللابسون من السلام دثارا
ورئيسُهم في صدر رومة خادرٌ كالليث يحمل للصلاح منارا
يرعى خراف مسيحه بعصا الهدى ويبارك الابرار والاطهـارا
ويمدُّهم بكماله فكأنـهُ شمسٌ تمدُّ بنورهـا الاقمارا
فاهنأ بيوبيلٍ توشّح تاجـه ذهباً وفاخر ان رضيتَ فخارا
نثرتْ بلبّتك الليالي فضةً ونظمتَ في جيد الزمان نضارا
فاجعل شعارك رحمـةً ومودةً فالدين ما جعل السلام شعارا

❊ امبراطور المانية واليسوعيون ❊ قـد منح آخراً الامبراطور غليوم الثاني وسام النسر الاحمر لاحد الآباء اليسوعيـين وهو الاب فردريك مولّر شكراً لهُ على الخدم الروحيَّة والادبيَّة التي يؤديها للالمان في انفرس منذ ثلاثين سنة

❊ البطريركية القسطنطينية ❊ نقل عن مجلة الكلمة ١٩٠٩ص٣٢ هذا الفصل المفيد بحرفهِ قالت: «اذا تمَّ استقلال بلغاريا واتحاد البوسنه والهرسك بالنمسا واتحاد جزيرة كريت باليونان خسرت البطريركية القسطنطينية ثماني عشرة ابرشية. وذلك اولاً

لان في بلغاريا خمس ابرشيات يونانية تابعة للبطريركة القسطنطينية . وهذه الابرشيات وان تكن أُقفلت موقتاً بسبب ثورة البلغار ضد اليونان في بلغاريا سنة ١٩٠٦ الّا ان اليونان لم يقطعوا الامل من اعادتها بتحسين العلائق بينهم وبين حكومة الامارة البلغارية . اما الان وقد اعلنت بلغاريا نفسها مملكة مستقلة كمملكة اليونان فالبلغار لا يسمحون بفتح ابرشيات يونانية في مملكتهم كما ان اليونان لا يسمحون بفتح ابرشيات بلغارية في مملكتهم . ثانياً في مقاطعتي البوسنه والهرسك توجد اربع ابرشيات ارثوذكسية كبيرة جداً تابعة للبطريركة القسطنطينية بالاسم فقط لان البطريركة كانت مجبورة منذ احتلال النمسا هاتين المقاطعتين على اثر الحرب الروسية التركية ان تثبت المطارنة الذين تنتخبهم حكومة النمسا وهذه تنقد البطريركة القسطنطينية مبلغاً معلوماً من المال مقابل ذلك التثبيت . اما الآن وقد ألحقت النمسا هاتين المقاطعتين باملاكها فاما انها تُلحق تلك الابرشيات الاربع الارثوذكسية باحدى الكنائس الثلاث الارثوذكسية المستقلة الموجودة في مملكتها واماً انها وهو الاغلب تجعلها كنيسة رابعة ارثوذكسية مستقلة عملًا بمبدإها السياسي «قسّم تملك» ! وكيفما فعلت الحكومة النمساوية فان البطريركة القسطنطينية ستفقد هذه الابرشيات الاربع العظيمة لا محالة . وثالثاً توجد في جزيرة كريت تسع ابرشيات كانت تابعة للبطريركة القسطنطينية بالاسم ايضاً لانها منذ ما صارت كريت شبه امارة في سنة ١٩٠٠ قد تألف من اساقفتها التسعة مجمع برأسه احدهم باسم ميترو بوليت هيراكليه تحت سيطرة البطريركة القسطنطينية . اما الان وقد اعلنت كريت اتحادها بالمملكة اليونانية فان ابرشياتها التسع هذه ستخرج نهائياً من تحت سيطرة البطريركة القسطنطينية وتصير تحت سلطة المجمع المقدس في اثينا عاصمة اليونان وذلك بالتمام كما جرى بابرشيات الجزر الايونية على اثر اتحادها بالمملكة اليونانية في سنة ١٨٦٦ وبابرشيات مقاطعتي ابيروس وتسّاليا عقيب الحاقهما بالمملكة اليونانية في سنة ١٨٨١ — . اما عدد الارثوذكسيين الموجودين في هذه الابرشيات الثاني عشرة التي ستخسرها البطريركة القسطنطينية فينيف على مليون نفس منهم نحو سبعين الفاً في بلغاريا ونحو ثماني مئة الف في البوسنه والهرسك ونحو منتي الف في كريت ٠٢ (قلنا) ومن هذا ترى ما آلت اليه تلك البطريركة التي كانت تنعت نفسها بالمسكونية بعد انفصالها عن رومة !!

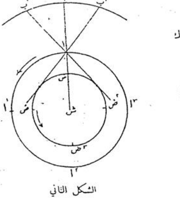
أسئلة وأجوبة

س سألنا من دير الاحمر حضرة الخوري بطرس قزح عن تعليل حركة السيَّارات التي ترى سائرةً من المشرق الى المغرب ثم يراها الناظر عائدة في سيرها من الغرب الى الشرق

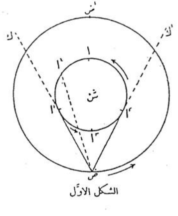
حركة السيَّارات

ج معلوم انَّ السيَّارات اجرام تستمدُّ نورها من الشمس وتدور حولها في مدَّات مختلفة على حسب تفاوت عِظَمها و بعدها عن الشمس. ومنها سيَّارات سُفلى تدور بين الارض والشمس ومنها عليا تدور حول الشمس والارض. امَّا حركتها فعلى نوعين حركة واقعية صحيحة وحركة ظاهرة للعين فالحركة الواقعية هي الحركة الدائرية او بالاحرى الاهليلجيَّة التي لا تختلف كثيرًا عن الدوائر. ولو كان الناظر الى السيَّارات واقفًا في مركز الشمس لرآها كلها تدور حولهُ كما نرى نحن قمرنا وهذه الحركة الحقيقية تكون من غرب الشمس الى شرقها. اما الحركة الظاهريَّة فهي التي يلحظها الناظر من الارض فانهُ يرى السيَّارات تارةً شرقيَّ الشمس حتى اذا بلغت زوايا معلومة تثبت مدَّة في امكنتها ثم تعود الى غربي الشمس وهلم جرًّا . وامَّا سبب ذلك فلموقع ارضنا بالنسبة اليها والى الشمس ولاختلاف مدَّات حركاتها. فاعتبر مثلًا في الشكل الاوَّل الشمس في ش وفلك الارض ض ض¹ فان افترضنا الارض ساكنة في ض والسيَّارة ا جاريةً الى ا¹ بحركتها الصحيحة فانَّ الناظر اليها في ض يرى صورتها عند بلوغها الى ا¹ مرسومةً في السماء في ك ثم تجري السيارة من ا¹ الى ا² ثم الى ا³ فالناظر اذا بلغت ا³ يراها في سطح السماء عند ك¹ فيتوهَّم انَّها عادت على اعقابها فسارت سيرًا متقهقرًا. ثم تعود السيارة فتسير من ا³ الى ا ثم ا⁴ حتى ا¹ فيراها في ك ويحسب انَّها سارت سيرها سويًّا من ك¹ الى ك وهلمَّ جرًّا. وفي الشكل الثاني ترى على خلاف ذلك الارض بين الشمس ش والسيارة ا فلنعتبر الارض جاريةً ونفترض السيارة ساكنة فان سارت الارض من ض الى ض¹ رأى الناظر السيارة ا صورتها في ب¹ واذا دارت الارض الى ض² ثم الى ض³ رأى صورتها في ب² كانَّها رجعت القهقرى

الاب مجاسون



الشكل الثاني



الشكل الاوَّل